## أشهر القصص اللصوصية

# أرسين لوبين

③

# عودة أرسين لوبين

موريس لبلان

YOUSRA



## أشهر القصص اللصوصية

## أرسين لوبين

# عودة أرسين لوبين

ترجمة

محمد عبد المنعم جلال






الإسكندرية ـ ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦٤١٠ فاكس ـ ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة ـ ٤٠٣٧٧٩٢ ٠٢٢

ص . ب ٣٧٠ الإسكندرية E- mail : maarouf 2004 @ hotmail . com




قال لى رجل له شارب وخطه المشيب ويرتدى سترة طويلة ، بنية اللون ، ويضع على رأسه قبعة عريضة الحوافى .

- تلقيت برقيتيك ، وهاأنذا .. فما الخبر ؟

ولو لم أكن أنتظر لوبين لما عرفته فى ذلك الزى العسكرى الذى يوحى بأنه فى المعاش ، وقلت :

- الخبر ؟ لاشئ ذو أهمية ، وإنما مصادفة غريبة لاغير، وحيث أنى أعرف أنه يحلو لك حل الطلاسم الغامضة أكثر من تدبيرها فقد رأيت.

- ماذا ؟

- أراك فى عجلة من أمرك .

- هو ذلك ، خصوصاً إذا كانت القضية التى اتصلت بى من أجلها لا تستدعى انتقالى.. ولذلك أرجوك أن تمضى إلى الهدف مباشرة .

- إلى الهدف مباشرة إذن .. وأرجو أن تتكرم بإلقاء نظرة على هذا المنظر الذى عثرت عليه فى محل يبيع الأشياء القديمة ، على الضفة اليسرى ، وقد اشتريته من أجل إطاره الذى يرجع إلى عصر الإمبراطورية ، ومن أجل زخرفته.. لأن الرسم الذى فى اللوحة فظيع .

قال لوبين بعد لحظة : إنه رسم فظيع فى الواقع ، ولكن موضوع الرسم نفسه لايخلو من طرافة، فهذا الركن من الفناء بكوخه المستدير

ذى الأعمدة اليونانية وبمزولته وحوضه وبئره المهدم بسطحه الذى يرجع إلى عصر النهضة ، وبدرجاته ودكته الحجرية .. يثير الإعجاب حقاً .

أردفت أقول : وواقعى فوق ذلك ، وقماش اللوحة نفسها لم ينتزع أبدا من الإطار رغم عدم جودة الرسم ورغم جمال الإطار الذى يرجع تاريخه إلى العهد الإمبراطورى ، ثم إن التاريخ موجود ، انظر إلى أسفل الصورة ، من اليسار .. هذه الأرقام الحمراء ١٥ ـ ٤ ـ ٢ والتى تعنى بالطبع ١٥ أبريل سنة ١٨٠٢ .

ـ هذا صحيح .. صحيح .. ولكنك تكلمت عن مصادفة ، وحتى الآن لم أر ..

مشيت إلى ركن من المكتب ، وأخذت منظاراً مكبراً ثبتته فوق ركيزة ذات ثلاث قوائم وصوبته من النافذة المفتوحة إلى غرفة صغيرة أمام مسكنى فى البيت المواجهة فى الناحية الأخرى من الشارع ، وطلبت من لوبين أن ينظر .

انحنى ، وكانت الشمس تلقى أشعتها إلى الغرفة فى شئ من الانحراف ، بحيث كان فى الاستطاعة رؤية قطع الأثاث البسيطة التى فيها : فراش عريض ومهد طفل مفروش بستائر من الكريتون ، وقال فجأة :

ـ آه .. نفس الرسم الذى فى لوحتك ..

قلت : تماماً .. نفس الرسم .. ونفس التاريخ .. هل تراه ؟ ١٥ـ٤ـ٢

ـ نعم .. اننى أراه .. ومن الذى يقيم فى هذه الغرفة .

ـ سيدة .. أو بالأحرى عاملة ، مادامت مضطرة إلى أن تعمل لكى تعيش .. أعمال حياكة تكاد تسد رمقها هى وابنتها .

ـ وما اسمها ؟

ـ لويز ديرنمون .. وطبقاً لمعلوماتى فهى بنت حفيد جنرال متقاعد أعدم بالجيلوتين فى عهد الارهاب .

أضاف لوبين : فى نفس اليوم الذى أعدم فيه الكاتب أندريه شنييه، وطبقا لمذكرات ذلك الوقت كان ذلك الجنرال ثرياً جداً .

ورفع رأسه وسأل : هذه قضية مثيرة للاهتمام .. لماذا انتظرت لكى ترويها لى .

ـ لأن اليوم هو يوم ١٥ أبريل بالذات .

ـ حسناً ؟

ـ حسناً .. وقد عرفت أمس من ثرثرة البواب .. أن يوم ١٥ أبريل له أهمية خاصة فى حياة لويز ديرنمون .

ـ حقاً ؟

ـ فهى على غير عاداتها ، وهى التى تشتغل كل يوم وترتب مسكنها المكون من غرفتين وتعد الغداء حتى إذا عادت إبنتها من المدرسة ظهراً .. تخرج يوم ١٥ أبريل فى الساعة العاشرة ولا تعود إلا بعد أن يهبط الليل .. وهذا يحدث منذ سنوات، مهما كانت حالة الجو، وأعترف معى أن هذا غريب ، فهذا التاريخ الذى وجدته على لوحة قديمة مدون على لوحة أخرى مشابهة ، ويتطابق مع اليوم الذى تخرج فيه سلسلة الجنرال ديرنمون .

قال لوبين فى بطء : هذا غريب فى الواقع .. وأنت على حق .. ألا يعرف أحد أين تمضى ؟

ـ كلا ، فهى لم تذكر ذلك لأحد .. ثم إنها قليلة الكلام .

ـ هل أنت واثق من معلوماتك ؟

ـ كل الثقة .. والدليل على صحتها .. انظر .. ها هما .

انفتح باب فى البيت المقابل وظهرت طفلة فى السابعة أو الثامنة من عمرها ، وتقدمت ووقفت أمام النافذة سيدة معتدلة القامة لاتزال تحتفظ بجمالها ، حلوة المظهر وحزينة .. كانت كل منهما مرتدية ثياباً بسيطة ولكنها تدل على إهتمامها بالأناقة .. وتمتمت أقول :

ـ ها أنت ترى أنهما ستخرجان .

أمسك لوبين بقبعته وقال : هل تأتى معى ؟

دفعنى فضول كبير إلى عدم الاعتراض وهبطت مع لوبين ..

وعندما خرجنا إلى الشارع رأينا جارتنا دخلت مخبزاً اشترت منه رغيفين وضعتهما فى سلة يبدو أنها تضم بعض الطعام ، ثم سلكت بعض الشوارع حتى بلغنا ميدان " الاتوال" ، وانعطفتا إلى شارع " كليبر" الذى يؤدى إلى بوابة باسى .

وكان لوبين يمشى فى صمت ، بادى الانشغال وقد سرنى ذلك كثيراً ، ومن وقت لآخر كانت تفلت من بين شفتيه عبارة أدركت منها إن اللغز قد أثار اهتمامه كما سبق أن حدث معى ..

ومع ذلك فقد انعطفت لويز ديرنمون إلى اليسار وسلكت شارع "راينوار" ، وهو شارع قديم هادئ عاش فيه فرانكلين وبلزاك ، وتحف به بعض البيوت والحدائق الجميلة ، ويعطيك إحساساً بأنك تعيش فى الريف ، وعند أسفل التلة التى يهيمن عليها الشارع يجرى نهر السين وتقع أزقة تهبط نحو النهر .

مضت جارتى إلى أحد هذه الأزقة الضيقة والمعوجة والمقفرة ، وكان على يمينها مباشرة بيت تشرف واجهته على شارع راينوار ، ثم جدار قديم قليل الارتفاع ، تحف بأعلاه شقفات من الزجاج ، وفى

منتصفه تقريباً باب منخفض على هيئة القوس ، وقفت لويز ديرنمون أمامه ، وفتحته بمفتاح بدا لنا ضخما ، ودخلت هى وابنتها .. وقال لوبين :

ـ ليس هناك ما تخفيه على كل حال لأنها لم تلتفت خلفها ولا مرة واحدة .

وما كاد يفرغ من عبارته حتى دوت حركة خلفنا ، فقد أقبل متسولان متقدمان فى السن ، رجل وامرأة ، يرتديان أسمالاً رثة ، قذرة ، ومرا أمامنا دون أن يهتما بوجودنا، وأخرج الرجل مفتاحاً أشبه بالمفتاح الذى استخدمته جارتى ، ودخلا وأغلقا الباب خلفهما .

وعلى الفور سمعنا صوت سيارة تقف فى آخر الزقاق ، وجذبنى لوبين بعيداً نحو خمسين متراً ، ورأينا سيدة جميلة تزين جيدها وصدرها بالحلى تهبط وتحت ذراعها كلب صغير.. وكانت عيناها سوداوين ، وشفتاها حمراوين جدا وشعرها أشقر.. وفتحت الباب ثم اختفت .

وقال لوبين : إن الأمر يبدو مسلياً.. ما العلاقة التى يمكن أن تربط هؤلاء الناس بعضهم ببعض ؟

وعلى التوالى ، أقبلت سيدتان متقدمتان فى العمر ، نحيفتان ، يدل منظرهما على البؤس ، وعلى أنهما أختان ، ثم خادم ثم عريف فى الجيش ثم رجل ضخم يرتدى سترة غير نظيفة ومرقعة ، ثم أسرة مكونة من ستة أفراد معتلى الصحة يبدو أنهم لايأكلون حتى الشبع .. وكل من هؤلاء الذين أقبلوا يحمل سلة مملوءة بالطعام .. وصحت أقول : هذه حفلة لتناول الطعام فى الهواء الطلق .

قال لوبين : إن الأمر يزداد عجباً ، ولن أهدأ إلا بعد أن أعرف ما يدور خلف هذا الجدار .

أنا بتاريخ ١٥ أبريل وأن ستة عشر أو ثمانية عشر شخصاً من مختلف الأعمار والظروف والعادات قد اختاروا الخامس عشر من أبريل للاجتماع فى هذا المكان الضائع من باريس ..

كانوا جميعاً فى اللحظة التى وقعت أعيننا عليهم جالسين منعزلين على المقاعد ودرجات السلم ، يأكلون .. كان العامل وأسرته والزوجان المتسولان قد جلسوا بجوار جارتى وابنتها ، فى حين بسط الخادم وصاحب السترة القذرة وعريف الجيش والأختين النحيفتين علب السردين والجبن وراحوا يأكلون هم الآخرون ..

كانت الساعة عندئذ الواحدة والنصف .. وأخرج المتسول غليونه ، وكذلك الرجل البدين ، وراح الرجال يدخنون بجوار القمرية ، وانضمت النساء ، ورحن يتبادلن الحديث ..

كانوا بعيدين عنا جدا بحيث أننا لم نسمع ما يقولون ، ومع ذلك فقد رأينا أن الجدال اشتد بينهم ، ولاسيما الآنسة صاحبة الكلب .. وكانت تخطب وتأتى بحركات كبيرة كانت تدفع الكلب إلى أن ينبح بشدة .. ولكن دوت فجأة صيحة تعجب وصيحات غضب ، واندفع الجميع ، الرجال والنساء ، فى غير ترتيب أو نظام نحو البئر ..

ظهر منه فى هذه اللحظة أحد غلمان العامل ، معلق بحزامه فى حلقة من الحديد فى آخر الحبل ، ورفعه الغلمان الثلاثة الآخرون وهم يديرون ذراع المحرك ..

وكان العريف أخف الجميع حركه ، فقد اندفع نحو الغلام ، وتبعه الخادم على الفور، والرجل البدين .. وأمسك الجميع بالغلام فى حين راح المتسولان والأختان النحيفتان يتعاركان مع العامل وزوجته ..

وفى بضع لحظات لم يبق على الغلام غير سرواله .. وكان الخادم قد استولى على ثيابه وأسرع بالهرب يتبعه العريف الذى انتزعها منه

أنا بتاريخ ١٥ أبريل وأن ستة عشر أو ثمانية عشر شخصاً من مختلف الأعمار والظروف والعادات قد اختاروا الخامس عشر من أبريل للاجتماع فى هذا المكان الضائع من باريس ..

كانوا جميعاً فى اللحظة التى وقعت أعيننا عليهم جالسين منعزلين على المقاعد ودرجات السلم ، يأكلون .. كان العامل وأسرته والزوجان المتسولان قد جلسوا بجوار جارتى وابنتها ، فى حين بسط الخادم وصاحب السترة القذرة وعريف الجيش والأختين النحيفتين علب السردين والجبن وراحوا يأكلون هم الآخرون ..

كانت الساعة عندئذ الواحدة والنصف .. وأخرج المتسول غليونه ، وكذلك الرجل البدين ، وراح الرجال يدخنون بجوار القمرية ، وانضمت النساء ، ورحن يتبادلن الحديث ..

كانوا بعيدين عنا جدا بحيث أننا لم نسمع ما يقولون ، ومع ذلك فقد رأينا أن الجدال اشتد بينهم ، ولاسيما الآنسة صاحبة الكلب .. وكانت تخطب وتأتى بحركات كبيرة كانت تدفع الكلب إلى أن ينبح بشدة .. ولكن دوت فجأة صيحة تعجب وصيحات غضب ، واندفع الجميع ، الرجال والنساء ، فى غير ترتيب أو نظام نحو البئر ..

ظهر منه فى هذه اللحظة أحد غلمان العامل ، معلق بحزامه فى حلقة من الحديد فى آخر الحبل ، ورفعه الغلمان الثلاثة الآخرون وهم يديرون ذراع المحرك ..

وكان العريف أخف الجميع حركه ، فقد اندفع نحو الغلام ، وتبعه الخادم على الفور، والرجل البدين .. وأمسك الجميع بالغلام فى حين راح المتسولان والأختان النحيفتان يتعاركان مع العامل وزوجته ..

وفى بضع لحظات لم يبق على الغلام غير سرواله .. وكان الخادم قد استولى على ثيابه وأسرع بالهرب يتبعه العريف الذى انتزعها منه

، وانتزعتها منه إحدى الأختين النحيفتين بعد ذلك .. وتمتمت أقول :

ـ إنهم مجانين ..

فقال لوبين : أبدا .. أبدا ..

ـ كيف هذا ؟ .. هل فهمت أنت شيئاً ؟

وأخيراً ، أفلحت لويز فى تهدئة الجميع ، وجلسوا من جديد ، ولكن كان رد الفعل شديداً على الجميع ، فلزموا الهدوء والصمت كما لو أن التعب قد أرهقهم ..

ومر الوقت .. وإذ شعرت بالجوع ذهبت إلى شارع رانيوار ، واشتريت بعض الطعام ، اقتسمته أنا ولوبين ، ونحن نراقب أصحاب تلك المهزلة غير المفهومة التى تدور أمامنا .. وكانت كل دقيقة تمر تزيدهم إرهاقاً وحزناً ، وراحوا يسلكون سلوكاً غير سليم ، وأحنوا رؤوسهم فى يأس ، وغرقوا فى أفكارهم .. وقلت فى ضيق :

ـ أتراهم سينامون هنا ؟

ولكن ، فى نحو الساعة الخامسة أخرج الرجل البدين ذو السترة القذرة ساعته ، وقلده الآخرون وساعاتهم فى أيديهم .. وبدا أنهم ينتظرون فى قلق حدثاً لابد أنه ذو أهمية كبيرة بالنسبة لهم .. ولكن الحديث لم يقع لأنه بعد عشرين دقيقة أتى الرجل البدين بحركة يائسة ونهض ، وألقى قبعته فوق رأسه .

وعندئذ ، ارتفعت الآهات ، وارتمت الأختان وزوجة العامل على الأرض ورسمن علامة الصليب .. وتعانقت صاحبة الكلب مع المتسولة وهما تبكيان ، وأخذت لويز ديرنمون تضم إبنتها إليها فى حزن ، وقال لوبين :

ـ هل تظن أن الاجتماع قد انتهى ؟

ـ نعم .. وليس أمامنا إلا الوقت الضرورى للهرب .

¿ ¿ ¿

انصرفنا دون أية عقبة .. وفى آخر شارع راينوار انعطف لوبين إلى اليسار ودخل أول بيت صادفه ، وتركنى بالخارج .

وبعد أن تحدث مع البواب بضع دقائق لحق بى ، وركبنا سيارة قال لسائقها : إلى رقم ٣٤ بشارع تورين .

وبالطابق الأرضى من رقم ٣٤ بشارع تورين مكتب موثق عقود .. واستقبلنا الأستاذ فالاندييه على الفور ، وهو رجل متوسط العمر ، لطيف وبشوش .

وتقدم لوبين إليه على أنه ضابط بالمعاش يدعى جانيو ، وقال إنه يريد أن يبنى بيتاً وفق مزاجه وأنهم حدثوه عن قطعة أرض بجوار شارع راينوار ، فصاح الأستاذ فالاندييه :

ـ ولكن هذه الأرض ليست للبيع .

ـ آه .. ولكن قيل لى .

ـ طبعاً .. طبعاً .

ونهض المحامى وأتى من أحد الدواليب بشئ عرضه علينا فاستغربت ، فقد كان نفس المنظر الذى استريته والموجود فى غرفة لويز ديرنمون ، وقال :

ـ لاريب أنك تتكلم عن الأرض التى فى هذه اللوحة..أرض ديرنمون كما يدعونها ؟

ـ تماماً .

قال المحامى : حسناً .. هذه الأرض جزء من حديقة كانت ملكا للجنرال ديرنمون الذى أعدم بالجيلوتين فى عهد الإرهاب .. كل ما أمكن بيعه باعه الورثه شيئاً فشيئاً ، ولكن هذه القطعة الأخيرة بقيت على المشاع . مالم .

وراح المحامى يضحك فسأله لوبين : مالم ؟

ـ أوه ، إنها قصة غريبة ، يحلو لى أحياناً أن أتصفح الملف الضخم

ـ أيكون تطفلاً ؟ .

قاطعه المحامى وهو يبدو مسروراً برواية القصة : أبدا ..

وبدأ يقول من غير أن يرجوه أحد منا : منذ أن بدأت الثورة أغلق لويس أجريبا ديرنمون قصره بحى سان جرمان بحجة أنه يريد الانضمام إلى زوجته ، وكانت تعيش فى جنيف مع ابنتها بولين ، وصرف خدمه ، وانتقل للإقامة مع ابنه شارل فى بيته الصغير بباس حيث لم يكن يعرفه أحد غير خادمته العجوز المخلصة ، وبقى مختبئاً فيه ثلاث سنوات ، وكان يرجو أن لايكتشف أحد أمره وذات يوم وبينما هو فى قيلولته .. جاءته خادمته العجوز مسرعة وقالت أنها رأت فى آخر الشارع دورية من الرجال المسلحين يبدو أنهم قادمون نحو القصر، وهب لويس ديرنمون من فراشه على الفور ، وفى نفس اللحظة التى طرق فيها الرجال الباب اختفى من الباب المؤدى إلى الحديقة وهو يصيح بابنه فى صوت مذعور : أخرهم .. خمس دقائق فحسب .

هل أراد أن يهرب ؟ وهل وجد منافذ الحديقة مراقبة ؟ عاد بعد ذلك بسبع أو ثمانى دقائق ، ولم يبد أية مقاومة لكى يتبع الرجال .. واعتقلوا ابنه شارل هو الآخر ، رغم انه لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره .

سأله لوبين : ومتى حدث هذا ؟

- فى السادس والعشرين جرمينال من السنة الثانية أى .

وأمسك مسيو فالاندييه وقد حول عينيه إلى التقويم المعلق لصق الحائط وصاح :

- ولكن فى مثل هذا اليوم بالذات .. نحن فى ١٥ أبريل ، وهو اليوم الذى اعتقل فيه الجنرال ..

قال لوبين : مصادفة غريبة .. ولاشك أنه كانت لهذا الاعتقال نتائج خطيرة ؟

- أوه .. خطيرة .. بعد ثلاثة شهور صعد الجنرال إلى المقصلة ، ونسوا ابنه شارل فى السجن وصودرت أملاكهم .

قال لوبين : وكانت أملاكا واسعة .. أليس كذلك ؟

- هنا بالذات تتعقد الأمور. فتلك الأملاك التى كانت شاسعة فعلا بقيت مفقودة .. وتحققوا أن قصر سان جرمان قد بيع قبل الثورة إلى رجل انجليزى، وكذلك كل الأراضى والأملاك التى فى الريف .. كما بيعت كل المجوهرات وتحف الجنرال النفيسة . وأمرت الجمعية التأسيسية ثم حكومة المديرين بإجراء تحقيق دقيق ، لم يسفر عن أية نتيجة .

قال لوبين : لكن بقى على الأقل بيت ياسى .

- اشتراه المواطن بروكيه الثرى الذى اعتقل ديرنمون بالذات بثمن بخس ، واعتزل فيه العالم وأغلق أبوابه ، وحصن جدرانه .. وعندما أطلق سراح شارل أخيراً وتقدم إليه قابله بطلقات البندقية .. ورفع شارل قضايا خسرها ووعد بتقديم مبالغ جسيمة، ولكن المواطن بروكيه كان صلباً وعنيداً.. قال أنه اشترى البيت وأنه سيحتفظ به ،

وكان من الممكن أن يحتفظ به فعلا حتى موته لو لم يحصل شارل على مساندة بونابرت ، وفى ١٢ فبراير عام ١٨٠٣، أخلى المواطن بروكيه المكان ، ولكن فرحة شارل كانت كبيرة جداً ، ولاريب أن ذهنه قد تبلبل بكل تلك المحن بحيث أنه عندما وضع قدمه على عتبة البيت الذى حصل عليه أخيراً راح يرقص ويغنى وقد أصيب بالجنون .

تولت الخادمة العجوز رعايته ، وعاشا معا فى بيته باسى .. ومرت سنوات دون أحداث تستحق الذكر، ولكن وقع حادث فجائى فى سنة ١٨١٢، فعندما أشرفت الخادمة على الموت أدلت باعترافات غريبة، فقالت أن الجنرال ، عندما اندلعت الثورة ، نقل إلى بيته بباسى حقائب مملوءة بالذهب والفضة ، وأن تلك الحقائب اختفت قبل اعتقاله ببضعة أيام .. وطبقاً لاعترافات سابقة لشارل ديرنمون ، استقاها من أبيه كانت الكنوز مخبوءة فى الحديقة، بين القمرية والمزولة والبئر، وكدليل على ذلك أبرزت ثلاث لوحات أو بالحرى، ثلاث قطع من القماش، لم تكن قد وضعت فى إطارات بعد ، رسمها الجنرال ، أثناء اعتقاله وأفلح فى إرسالها إليها على أن تسلم إلى زوجته وابنه وابنته ولزم شارل والخادمة العجوز الصمت وقد أغرتهما الثروة .. ثم جاءت القضايا وعودة القصر ، وجنون شارل والأبحاث الخاصة وغير المجدية للخادمة .. ولاتزال الكنوز فى مكانها حتى يومنا هذا .

قال لوبين متهكما : وهى لاتزال مكانها فعلاً .

صاح مسيو فالاندييه : لاتزال مكانها .. مالم .. مالم يكن المواطن بروكيه الذى اشتم شيئاً بلا ريب قد عثر عليها ، وهى نظرية قليلة الاحتمال لأنه مات فقيراً .

ـ وعندئذ ؟

ـ عندئذ قاموا بالأبحاث .. أعنى أولاد بولين ، الأخت ، عادوا من

جنيف ، واتضح أن شارل تزوج خفية وأنجب أولاداً ، واشترك الجميع فى هذه الأبحاث .

الأبحاث .

ـ شارل ..

ـ كان شارل يعيش فى عزلة تامة ، ولم يغادر غرفته .

ـ أبداً ؟

ـ بل كان يغادرها ، وهنا وجه الغرابة فى المسألة حقاً .. فقد كان شارل يخرج مرة كل سنة ، مدفوعاً بنوع من الإرادة اللاشعورية ، ويسلك بالذات الطريق الذى سلكه أبوه ، ويجتاز الحديقة ، ويجلس تارة فوق درجات سلم القمرية التى تراها هنا فى الرسم ، وتارة على حافة البئر ، وفى الساعة الخامسة والدقيقة السابعة والعشرين ينهض ويعود إلى غرفته .. وحتى وفاته التى حدثت فى سنة ١٨٢٠ لم يتخل عن عادته تلك .. والعجيب أن اليوم الذى كان يخرج فيه من غرفته هو يوم ١٥ أبريل من كل عام ، وهو ذكرى اعتقاله هو وأبيه .

ولم يعد مسيو فلاندييه يبتسم ، وإنما يستولى عليه الاضطراب .. بسبب تلك القصة التى رواها لنا. وبعد لحظة من التفكير سأله لوبين :

ـ ومنذ موت شارل ؟

عاد المحامى يقول فى شئ من التفخيم :منذ ذلك الوقت ، أى منذ ما يقرب من مائة سنة ، يستمر ورثة شارل وبولين فى هذا المزار يوم ١٥ أبريل من كل سنة. وقاموا فى السنوات الأولى بتنقيبات وحفريات دقيقة .. ولم يتركوا شبراً من الأرض إلا وقلبوه .. ولكن انتهى ذلك الآن ، فهم أصبحوا لايبحثون تقريباً ..

ومن وقت لآخر(وبدون سبب ، يرفعون حجراً أو يفحصون البئر،

ويقضون يومهم الآن) جالسين على درجات القمرية كما يفعل المجنون المسكين وينتظرون مثله وهذا هو، كما ترى الأمر المحزن فى مصيرهم فمنذ مائة سنة ، كل الذين تعاقبوا، الأولاد بعد الآباء .. جميعهم ، فقدوا .. ماذا أقول ؟ نبض حياتهم .. لم تعد لديهم الشجاعة ولا المبادرة .. وإنما ينتظرون .. ينتظرون يوم ١٥ أبريل .. (وعندما يأتى ١٥ أبريل) ينتظرون وقوع معجزة .. جميعهم .. لقد هزمهم الفقر .. أسلافى وأنا رحنا نبيع شيئاً فشيئاً .. البيت فى بادئ الأمر ، لبناء بيت جديد ، ثم قطعاً من الحديقة وقطعا أخرى .. ولكنهم يؤثرون الموت عن بيع هذا المكان .. وهم جميعاً متفقون على هذه النقطة .. سواء لويز ديرنمون الوريثة المباشرة لبولين أو المتسولين أو العامل أو الخادم أو راقصة السيرك .. ورثة ذلك المسكين شارل ..

ساد الصمت قليلاً ثم قال لوبين :

ـ ورأيك أنت يا أستاذ فلانديبه ؟

ـ رأيى أنه ليس هناك شئ .. ما وجه الصدق فى أقوال إمرأة عجوز أضعفها تقدم السن .. وأية أهمية يمكن أن نعلقها على نزوات مجنون ؟ ثم ، ألاتعتقد أنه كان يمكن العثور على هذه الثروة لو أن الجنرال جمعها لأنه فى مثل ذلك المكان الضيق والمحدود لايمكن إخفاء سلة فما بالك بثروة !

ـ ومع ذلك فتلك اللوحات .

ـ نعم .. طبعا ولكن أتراها دليلاً كافياً ؟

انحنى لوبين فوق اللوحة التى أخرجها المحامى من الدولاب ، وقال بعد أن فحصها طويلاً :

ـ إنك تكلمت عن ثلاث لوحات .

ـ نعم .. فهذه التى تراها سلمها ورثة شارل إلى سلفى .. ومع لويز ديرنمون لوحة ثانية .. أما الثالثة فلا يدرى أحد ماذا حدث لها .

نظر لوبين إلى وقال : وكل منها تحمل نفس التاريخ ؟

ـ نعم .. وقد كتبه شارل ديرنمون عندما وضع كلا منها فى إطار قبل موته بقليل .. نفس التاريخ ١٥ أبريل من السنة الثانية طبقاً لتقويم الثورة ، ذلك لأن الاعتقال تم فى أبريل سنة ١٧٩٢ .

قال لوبين : آه .. إن رقم ٢ يعنى .

وأخذ يفكر بضع لحظات ثم قال : سؤال آخر إذا سمحت .. ألم يتقدم أحد أبداً لحل هذه المشكلة ؟

رفع مسيو فالاندييه ذراعيه وقال :

ـ ماذا تقول ؟ ولكن كان ذلك مصيبة المكتب فمن سنة ١٨٢٠ حتى سنة ١٨٤٣ استدعى الورثة الأستاذ توربون ، أحد أسلافى ، إلى باسى ثمانى عشرة مرة ، فقد تقدم إليهم الدجالون والمنجمون ووعدوهم باكتشاف كنوز الجنرال ، وفى النهاية ، وضعت قاعدة ، فكل غريب يريد أن يقوم بالأبحاث يجب أن يدفع مقدماً مبلغاً معيناً .

ـ كم ؟

ـ عشرة آلاف فرنك .. وإذا أفلح فى اكتشاف الكنوز فله الثلث ، أما إذا فشل فإن المبلغ يتبقى ملكاً للورثة .. وبهذه الطريقة عرف المكتب الهدوء ..

ـ إليك العشرة آلاف فرنك .

أجفل المحامى وقال : إيه .. ماذا تقول ؟

عاد لوبين يقول وهو يخرج من جيبه عشر ورقات من فئة الألف فرنك ويضعها فوق المكتب بكل هدوء :

ـ أقدم إليك العشرة آلاف فرنك .. أرجو أن تتفضل بإعطائى إيصالاً وأن تستدعى الورثة للحضور إلى باسى يوم ١٥ أبريل من العام القادم .

لم يتمالك المحامى نفسه من الدهشة .. وأنا نفسى لم أقل عنه دهشة رغم إن لوبين قد عودنى على مفاجئاته .. وسأله الأستاذ فالاندييه :

ـ هل أنت جاد ؟

ـ كل الجدية .

ـ ومع ذلك فأنا لم أخف عنك رأيى ، فكل هذه القصص غير المعقولة لا تستند على أى أساس ..

قال لوبين : إننى لا أوافقك على رأيك هذا !

نظر المحامى إليه كما لو أنه ينظر إلى رجل غير عاقل، ثم استقرت نيته أخيراً فأخذ قلمه ، وحرر على ورقة مدموغة عقداً ينص على أن النقيب جانيو بالمعاش له الحق فى ثلث المبالغ التى يكتشفها ، وأردف يقول :

ـ إذا غيرت رأيك فأرجو إبلاغى قبل الموعد بثمانية أيام ، فلن أخطر أسرة ديرنمون إلا فى اللحظة الأخيرة حتى أجنب هؤلاء المساكين أملا طويلا كاذباً .

ـ بل يمكنك أن تخطرهم منذ الآن يا أستاذ فالاندييه وبذلك يقضون سنة أفضل .

وافترقنا .. وما أن خرجنا إلى الشارع حتى هتفت :

ـ إذن فأنت تعرف شيئاً ؟

أجاب لوبين : بل إننى لا أعرف شيئاً على الإطلاق .. وهذا هو

مايثيرنى على وجه الخصوص !

- ولكنهم يبحثون منذ مائة سنة !

- إن الأمر يحتاج إلى التفكير أكثر منه إلى البحث .. وأمامى ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً لكى أفكر.. وهذا وقت أكثر من اللازم ، وأجازف بأن أنسى هذا الأمر بالرغم من أهميته، فتكرم أيها الصديق بأن تذكرنى به ..

ذكرته به مرات عديدة أثناء الشهور التى تلت دون أن يبدو عليه مع ذلك أى اهتمام .. ثم كانت كل تلك المدة التى لم أره فيها ، وكان ذلك كما عرفت فيما بعد خلال الوقت الذى سافر فيه إلى أرمينيا والصراع الدامى الذى دار بينه وبين السلطان الأحمر والذى انتهى بانهيار ذلك الطاغية ..

وعلى كل حال ، فقد كتبت إليه على العنوان الذى أعطانى إياه ، واستطعت بعد ذلك أن أجمع بعض المعلومات من اليمين ومن اليسار وعن جارتى ، لويز ديرنمون .. كانت قد أحبت منذ بضع سنوات شاباً ثرياً جداً ، وكان لايزال يحبها ولكن اضطره أهله إلى أن يهجرها بعد ذلك ، ومنذ ذلك الوقت وهى تعيش مع ابنتها عيشة أبية وكريمة .

لم يرد لوبين على أية رسالة من رسائلى .. فهل تلقاها ؟ ومع ذلك فقد كان اليوم الموعود يقترب .. ورحت أتساءل إذا لم تكن إحدى مغامراته قد تحول بينه وبين المجيئ فى ذلك اليوم .

والحق أن صباح اليوم الخامس عشر أقبل ، وفرغت من تناول طعام الفطور ولم يكن لوبين قد حضر بعد ، وبعد الظهر بربع ساعة خرجت ويممت نحو باسى .

وعلى الفور، رأيت فى الزقاق أولاد العامل الأربعة يقفون أمام الباب .. وأسرعوا بإخطار الأستاذ فالانديبه فخرج وخف للقائى وهو

يقول : حسناً .. والنقيب جاتيو ؟

ـ ألم يأت ؟

ـ كلا .. وأرجوك أن تعلم أنهم ينتظرونه فى نفاذ صبر ..

والواقع أن الجماعة التفت بالمحامى ، ولم يعد على وجوههم التى أعرفها ذلك الاكتئاب ولاذلك الإحباط اللذين رأيتهما فى العالم الماضى .. وقال الأستاذ فالاندييه :

ـ لقد أحياهم الأمل ، وهى غلطتى ، ولكن ماذا تريد ؟ إن صديقك ترك لى انطباعاً جميلاً بحيث تحدثت مع هؤلاء الناس الكرام بكل ثقة .. لا أشعر بها اليوم .. ولكن ، ومهما يكن الأمر فإن النقيب جاتيو رجل غريب .

وسألنى وأعطيته عن النقيب معلومات مثيرة بعض الشئ ، استمع إليها الورثة وهم يهزون رؤوسهم .. وتمتمت لويز ديرنمون :

ـ وإذا لم يأت ؟

ـ قال المتسول :

ـ سيكون لدينا على كل حال العشرة آلاف فرنك وسنقسمها .. ولكن قوله هذا لم يحدث أى تأثير فإن سؤال لويز ديرنمون بعث الحرج بين الآخرين ، وتجهمت الوجوه ، وأحسست كأن جواً من القلق يخيم علينا .

وفى الساعة الواحدة والنصف جلست الأختان النحيفتان وقد انتابهما الضعف .. ثم ثار الرجل البدين ذو البشرة القذرة على المحامى وقال له :

ـ أنت المسئول يا أستاذ فالاندييه .. كان يجب أن تأتى بالنقيب طواعية أو قسراً .. إنه مهرج .

ورمانى بعينين يتطاير منهما الشرر .. وحتى الخادم نفسه راح (يسبنى ويلعننى) .. ولكن أكبر الأولاد ظهر فجأة بالباب وهو يصيح :

ـ هناك قادم .. على دراجة بخارية .

وسمعت صوت محرك الدراجة وهو يقترب .. وكان هناك رجل يسرع بدراجته نحونا ، وكانت سرعته كبيرة بحيث أنه كان يجازف بأن يحطم عظامه .. وفجأة توقف أمام البيت ووثب من فوق دراجته .

وتحت طبقة الغبار الذى غطته كان يمكن الاستدلال أن ثيابه الزرقاء وبنطلونه ذى الثنيتين الواضحتين ليست ثياب سائح ولاقبعته الرخوة السوداء كذلك ولاحذاءه الطويل اللامع .

وقال المحامى مترددا :

ـ ولكن هذا ليس النقيب جانيو .

فقال لوبين وهو يمد لنا يده :

ـ بل أنا هو .. أنا النقيب جانيو، وكل ما هنالك أننى أزلت شاربى ، ها هو الإيصال يا أستاذ فالاندييه .

وأمسك أحد الأولاد من ذراعه وقال له :

ـ أسرع إلى محطة سيارات الأجرة واتنا بسيارة حتى شارع رانيوار ، أسرع فإن لدى موعداً عاجلاً فى الساعة الثانية والربع .

صاح الجميع محتجين ، فأخرج النقيب جانيو ساعته وقال :

ـ الساعة الآن الثانية إلا اثنتى عشرة دقيقة ، وأمامى خمس عشرة دقيقة لا أكثر .. ولكن .. رباه إننى متعب جداً وجائع جداً .

ناوله العريف رغيفاً من سلته قضمه لوبين بكل نهم ، ثم جلس وقال :

ـ أرجو أن تلتمسوا لى العذر، فإن قطار مارسيليا السريع وقع له حادث ، فقد خرج عن الخط ، بين ريجون ولاروش .. ومات خمسة عشر وأصيب كثيرون بجراح فاضطررت إلى مساعدتهم .. وقد وجدت فى عربة الأمتعة هذه الدراجة ، وأرجو أن تتكرم يا أستاذ فالاندييه بإعادتها إلى صاحبها ، فمازالت البطاقة ملصقة بالمحرك .. ها قد عاد الولد .. هل أتت السيارة فى أول الشارع .. عظيم .

ونظر إلى ساعته وأردف : آه .. آه .. ليس أمامى وقت كثير .

نظرت إليه فى فضول شديد .. ولكن لاريب أن انفعال الورثة كان أشد .. وطبعاً لم تكن لهم فى النقيب جانيو الثقة التى لى أنا فى لوبين .. ومع ذلك كانت وجوههم متوترة وصفراء .

واتجه النقيب جانيو فى بطء نحو اليسار ، واقترب من المزولة .. كانت قاعدتها على هيئة رجل يجلس القرفصاء يحمل فوق كتفيه منضدة من الرخام ، استهلك الآن سطحها بحيث تكاد خطوط الساعات المحفورة تظهر فى شئ من الوضوح ، وفوقها كيوبيد يحمل سهماً ضخماً يقوم بمهمة عقرب الساعات .

بقى الضابط منحنياً نحو دقيقة وعيناه يقظتان ثم سأل : سكين من فضلكم !

دقت الساعة دقتان تشير إلى الثانية .. وفى هذه اللحظة بالذات وقع ظل السهم فوق الميناء التى تنيرها الشمس ، مشيراً إلى شق فى الرخام يقطع الميناء فى النصف تقريباً .

أمسك النقيب بالسكين الذى ناولوه إياها وراح يحك بنصلها خليط التراب والطحلب والأعشاب الذى يغطى الشق .

وعلى الفور وعلى بعد نحو عشرة سنتيمترات من سطح الميناء توقف لأن نصل السكين التقى بعقبة .. فغرز سبابته وإبهامه وأخرجها

وبينهما شئ فركه فى راحتى يديه ، وقدمه على الفور إلى المحامى وهو يقول : إليك يا أستاذ فالاندييه .. هذا شئ على كل حال .

كان ذلك الشئ ماسة ضخمة بحجم البندقة ، ومقطوعة بطريقة رائعة .. وعاد النقيب إلى عمله .. وسرعان ما توقف ثانية ، وأخرج ماسة أخرى فى غاية الصفاء والجمال ، كالماسة الأولى .

ثم جاءت ماسة ثالثة فرابعة .

وبعد دقيقة ، وهو يتابع الشق من أوله إلى آخره ، ودون أن يزيد عمق الحفر عن سنتيمتر ونصف أخرج النقيب ثمانى عشرة ماسة بنفس الحجم .

وأثناء تلك الفترة لم تصدر صيحة واحدة ، ولا أية حركة ممن يلتفون حول المزولة ، فقد جمدتهم الدهشة .. ثم تمتم الرجل البدين :

ـ ياللشيطان !

وغمغم العريف : آه .. لك الله أيها النقيب .. لك الله ..

وأغمى على الأختين ، وجثت صاحبة الكلب وراحت تصلى فى حين راح الخادم يترنح ويمسك رأسه بيديه كما لو كان ثملا ، ولويز ديرنمون تبكى .

وعندما عاد الهدوء وأرادوا أن يشكروا النقيب رأوا أنه انصرف .

؟؟؟

ولم أجد الفرصة لكى أسأل لوبين بخصوص هذه القضية إلا بعد سنوات طويلة .. وأجابنى يقول :

ـ قصة الماسات الثمانى عشرة .. الحق أننى لا أكاد أصدق أن ثلاثة أو أربعة أجيال بحثوا عن الحل .. فى حين أن الماسات الثمانى عشرة كانت هناك ، تحت قليل من التراب .

ـ ولكن كيف خمنت ؟

ـ لم أخمن وإنما فكرت .. أدهشنى منذ البداية أن كل المغامرة ترتكز على مسألة جوهرية ، وهى مسألة الوقت .. فعندما كان شارل لايزال مالكا لقواه العقلية كتب تاريخاً على اللوحات الثلاث .. وفيما بعد ، فى الدياجير التى كان يتخبط فيها ، كان هناك قبس وحيد من الذكاء يقوده كل سنة وسط الحديقة القديمة ، ونفس القبس كان يبعده عنها ، كل سنة ، فى نفس اللحظة ، أى فى الساعة الخامسة والدقيقة السابعة والعشرين ، فما الذى كان ينظم بهذه الصورة الميكانيكية المشوشة لذلك الذهن ، وأية قوة خارقة كانت تقود هذا المجنون المسكين ؟ لاريب أنها المفهوم الغريزى للوقت الذى يمثله على لوحات الجنرال ميناء المزولة ، ولاريب أنها الثورة السنوية للأرض حول الشمس هى التى كانت تعيد شارل ديرنمون إلى حديقة باسى فى تاريخ محدد ، ثم تبعده عنها الثورة النهارية فى تاريخ محدد أى فى الساعة التى تختفى فيها الشمس على الأرجح بسبب عقبات مختلفة من عقبات اليوم ولم تعد تضيئ حديقة باسى .. وكل هذا كانت ميناء المزولة ترمز إليه بالذات، وهذا هو السبب الذى حملنى على معرفة أين يجب أن أبحث .

ـ ولكن كيف استطعت أن تحدد ساعة البحث ؟ .

ـ من اللوحات .. فإن رجلاً كان يعيش فى ذلك الوقت ، كشارل ديرنمون ما كان إلا ليكتب ٢٦ جرميال الثانى أو ١٥ أبريل سنة ١٧٩١ ولايكتب أبريل ٢ ، ويدهشنى أن أحداً لم يفكر فى ذلك .

ـ إذن فرقم ٢ كان يشير إلى الساعة الثانية ؟

ـ بالتأكيد.. وهذا ما قد حدث .. فإن الجنرال بدأ بتحويل ثروته إلى قطع ذهبية وفضية ، ثم زيادة فى الحرص اشترى بذلك الذهب

والفضة ثمانى عشرة ماسة رائعة ، وفوجئ بقدوم الداورية ، فهرب إلى الحديقة .. فأين يخفى الماسات ؟ وقعت عيناه على الميناء صدفة .. كانت الساعة الثانية ، وظل السهم كان يشير عندئذ إلى الشق فى الرخام فأطاع إشارة السهم ، وغرز الماسات الثمانى عشرة فى التراب ثم عاد فى هدوء وسلم نفسه للجنود .

- ولكن ظل السهم يشير كل يوم ، فى الساعة الثانية ، إلى الشق ، وليس فى اليوم الخامس عشر من أبريل فحسب ؟!

- إنك تنسى ياعزيزى أن الأمر يتعلق بمجنون وأنه هو نفسه لم يكن يحتفظ فى ذاكرته إلا بتاريخ ١٥ أبريل .

- ليكن ، ولكن أنت .. مادمت قد عرفت السر ، كان من السهل عليك منذ سنة أن تدخل الأرض المسورة وأن تسرق الماسات .

- كان ذلك سهلاً تماماً .. وما كنت لأتردد فعلاً لو اننى كنت إزاء أناس آخرين غيرهم .. ولكننى رثيت لهؤلاء البائسين حقاً ، ثم إنك تعرف هذا الغبى لوبين .. بدا له فجأة أن يكون واسطة خير ، وأن يبهر هؤلاء المساكين .

صحت :

- لابأس بالفكرة .. ست ماسات جميلة (هى نصيبك من تلك الثروة التى أعطاها لك الورثة بسرور) ..

نظر لوبين إلى ، ثم انفجر ضاحكا فجأة وقال :

- ألم تعرف إذن ؟ آه .. هذه نكتة عظيمة .. سرور ورثة ديرنمون .. ولكن ياصديقى العزيز .. لقد واجه النقيب الشهم جانيو فى اليوم التالى الكثير من المشاكل ومن الأعداء اللدودين .. فقد نظمت الأختان والرجل البدين المقاومة ؟ القصر .. وما قيمته مادام من السهل إثبات

أن النقيب جانيو لاوجود له .. إنه أفاق، فمن أين أتى .. فليقاضينا إذا شاء ، وسوف نرى .

ـ ولويز ديرنمون ؟ .. هل انضمت إليهم ؟

ـ كلا.. كانت ضد هذا العمل الشائن .. ولكن ماذا كانت تستطيع ؟ ثم إنها بعد أن أصبحت غنية عادت إلى زوجها ، ولم أعد أسمع عنها .

ـ وإذن ؟

ـ إذن ياصديقى العزيز وجدت نفسى فى الفخ وعاجزاً قانوناً ( واضطررت إلى التصالح ) وقبول أصغر ماسة وأقلها جمالا .. وهذا يجعلنى أفكر كثيراً قبل أن أقدم على مساعدة أحد .

وغمغم من بين أسنانه :

ـ آه .. العرفان بالجميل ! يالها من سخرية .. لحسن الحظ أن الناس الشرفاء لهم ضمائرهم ، ويشعرون بالارتياح عندما يؤدون واجبهم ..



# عقد الملكة

كانت الليدى بيلنجتون ، كونتس دى دورسوبيز لاتضع على كتفيها البيضاوين عقد الملكة إلا مرتين أو ثلاث مرات كل سنة ، وذلك فى الحفلات الهامة ، ومنها الحفلة الراقصة التى أقامتها السفارة النمسوية .

وكان ذلك العقد هو عقد الملكة المشهور، والاسطورى الذى صنعه الجوهريان بوهمر وباسنج للبارونة دى بارى ، والذى اعتقد الكردينال دى روهان أنه يقدمه للملكة مارى انطوانيت ، ملكة فرنسا ، والتى انتزعت الأفاقة جان فالوا ، كونتس دى لاموت ماساته فى إحدى ليالى فبراير سنة ١٧٨٥ ، بمساعدة زوجها وشريكهما رينودى فيلييت .

وتوخيا للحقيقة ، كان هيكل العقد وحده حقيقياً ، فقد احتفظ به رينو دى فيلييت، بينما راح السيد دى لاموت وزوجته يبعثران ، أدراج الرياح ، الأحجار الكريمة التى انتزعاها والتى اختارها بوهمر بكل عناية والتى تفنن هو وباسنج فى صياغتها ، وباع ذلك الهيكل فى إيطاليا فيما بعد ، لجارستون دى درو سوبيز ، ابن عم ووريث الكردينال الذى أنقذه من الدمار بعد الإفلاس المعروف لروهان دى جيمينيه ، وابتاع جاستون ، إكراماً لذكرى عمه ، الماسات القليلة التى بقيت فى حيازة الجوهرى الإنجليزى جفريز ، وأكملها بعد ذلك بماسات أخرى أقل قيمة بكثير من الماسات الحقيقية ، وإن كانت من

نفس الحجم ، واستطاع أن يعيد تركيبها على نفس الهيكل ، بحيث بدا كأنه العقد الأصلى الذى خرج من بين أيدى بوهمر وباسنج .

وقد تباهى آل درو سوبيز بحيازتهم لذلك العقد التاريخى طوال قرن تقريباً ، رغم أن ظروف المعيشة قد خفضت ثروتهما بشكل ملحوظ ، وفضلوا ضغط نفقاتهم عن التخلى عن تلك الحلية الملكية النفيسة ، ولاسيما الكونت الحالى ، فقد تمسك به تمسكه بشرف أجداده ، ودفعه الحرص إلى أن يكترى خزانة خاصة فى بنك الكريدى ليونيه للاحتفاظ به فيها .. وكان يأتى به هو بنفسه من تلك الخزانة أصيل اليوم الذى تريد زوجته أن تتحلى به ، ثم يعيده بنفسه فى صباح اليوم التالى .

وفى تلك الليلة حظيت الكونتس بنجاح حقيقى فى قصر قشتالة ، ولحظ الملك كريستيان الذى أقيمت تلك الحفلة تكريماً لجمالها الرائع .. كانت الأحجار ينساب بريقها حول عنقها الجميل ، وانعكاساتها العديدة تتألق كشعلات من النار تحت الأضواء الساطعة .. وبدا كأنه لايمكن لأية واحدة أخرى أن تتحمل عبء هذه الحلية الجميلة كما تحملتها الكونتس .

كان انتصاراً مزدوجاً استمتع به الكونت دى درو كل الاستمتاع ، وهنأ نفسه به عندما عاد هو وزوجته إلى مسكنهما القديم بحى سان جرمان .. كان فخوراً بزوجته ، وربما بالحلية التى اشتهر بها بيته منذ أربعة أجيال .. وكانت زوجته هى الأخرى تتباهى به فى سذاجة وطفولة قد يكونا دليلاً على طبعها المتكبر .

أخذت العقد من فوق كتفيها فى شئ من الندم وقدمته لزوجها الذى فحصه فى إعجاب ، كما لو أنه لم يره من قبل ، ثم أعاده إلى علبته الجلدية الحمراء التى تحمل شعار الكردينال ، ومضى إلى غرفة

مجاورة ، على هيئة قبة ملحقة بغرفة النوم ، ومنفذها الوحيد أسفل فراشهما ، وأخفاه كما يفعل كل مرة ، فوق لوح مرتفع ، بين علب الكرتون الخاصة بقبعات زوجته وبعض الثياب الداخلية ، ثم أغلق الباب ونضا عنه ثيابه .

وصحا فى الساعة السابعة صباحاً، وفى نيته أن يمضى ، قبل تناول الإفطار، حتى الكريدى ليونيه .. وارتدى ثيابه وشربا فنجاناً من القهوة ، وهبط إلى الاسطبل ، وأصدر أوامره ، كان أحد جياده يثير قلقه ، وجعله يروح ويغدو فى الفناء أمامه ثم عاد بجوار زوجته .

لم تكن قد غادرت الغرفة ، وكانت واقفة أمام المرآة ، تمشط شعرها ، تساعدها وصيفتها وقالت له :

ـ هل أنت خارج ؟

ـ نعم .. إلى البنك .

ـ آه .. هذا صحيح ، فذلك أدعى للحرص .

ودخل الغرفة الصغيرة المجاورة ولكنه لم يلبث أن سأل زوجته بدون أية دهشة :

ـ هل أخذته أيتها الصديقة العزيزة ؟

أجابت : وكيف ذلك ؟ كلا طبعا .. لم آخذ شيئاً ..

ـ هل نقلته من مكانه إذن ؟

ـ أبداً .. بل إننى لم أفتح هذا الباب .

ظهر من الغرفة عندئذ وقد تغيرت سحنته ، وتمتم فى صوت يكاد لايسمع :

ـ لم تأخذيه .. ولم تنقليه .. أين هو إذن ؟

أسرعت إليه وفتشا الغرفة بدقة كبيرة ، وألقيا العلب الكرتون فوق الأرض ، ونقلا الثياب الداخلية ، وعاد الكونت يقول :

ـ لافائدة .. لافائدة من كل ما نفعل ، فإننى وضعته هنا بالذات ، فوق هذا اللوح من الخشب ..

ـ لعلك أخطأت .

ـ على هذا اللوح .. وليس فى أى مكان آخر .

وأشعلا شمعة ، لأن الضوء كان خافتاً، ورفعا كل العلب ، وكل الثياب ، وكل ما عليه من أشياء أخرى ، وعندما لم يعد هناك شئ فى الغرفة اضطرا إلى الإقرار فى يأس بأن العقد الشهير ، عقد الملكة قد ضاع .

كانت الكونتس ذات عزيمة قوية ، فلم تضع أى وقت فى الندم الذى لاطائل منه ، وأبلغت القوميسبير فاليرب ، وكانا قد قدرا موهبته وبصيرته فى فرصة سابقة ، وأبلغاه بالأمر بالتفصيل ، فسألهما على الفور :

ـ هل أنت واثق ياسيدى الكونت أن أحداً لم يدخل الغرفة بالليل ؟

ـ أنا على يقين من ذلك ، فإن نومى خفيف ، بل الأكثر من هذا أن باب غرفتنا كان موصداً بالرتاج من الداخل . وقد رفعته هذا الصباح عندما دقت زوجتى الجرس لاستدعاء الوصيفة .

ـ أليس هناك منفذ آخر يمكن الدخول منه إلى الغرفة الصغيرة ؟

ـ أبداً .

ـ أليست هناك نافذة ؟

ـ بلى ، ولكنها مسدودة .

ـ أريد أن أتحقق بنفسى .

وأشعلوا شمعة ، وعلى الفور، رأى مسيو فاليرب أن النافذة ليست مسدودة إلا ابتداء من نصف ارتفاعها، ولم تكن مرتفعة جداً، وتحتها صوان لايصل إليها ، وقال مسيو دى درو :

ـ إنه يصل إليها تقريباً ولكن نقله من غير إحداث صوت حاد .

ـ وأين تفضى هذه النافذة ؟

ـ إلى طرقة صغيرة داخلية .

ـ وهل هناك طابق آخر غير هذا ؟

ـ بل طابقان .. ولكن الطرقة ، عند مستوى طابق الخدم مسورة بشبكة من القضبان الحديدية ، وهذا هو السبب فى أن الضوء قليل .. ثم إنك عندما ترفع هذا الصوان فسوف تتحقق من أن النافذة مغلقة .. وهذا مالايمكن أن يكون إذا كان قد دخل أحد من الخارج ، إلا إذا كان قد خرج من حجرتنا .

ـ لو أن هذا قد حدث فما كنت إلا لتجد الرتاج مرفوعاً من مكانه .

وفكر القوميسير لحظة ثم تحول إلى الكونتس وقال :

ـ هل كان جيرانك يعلمون أنك كنت تتحلين بهذا العقد أمس ؟

ـ طبعاً ، فلم أخف الأمر .. ولكن لا أحد منهم يعرف أننا نحتفظ به فى هذه الغرفة .

ـ لا أحد ؟

ـ لا أحد .. إلا ..

ـ تكلمى ياسيدتى ، أرجوك ، فهذه نقطة خطيرة للغاية .

قالت لزوجها : كنت أفكر فى هنرييت .

ـ هنرييت ؟ .. ولكنها تجهل هذه النقطة ، كغيرها .

ـ هل أنت متأكد ؟

قال مسيو فاليرب مستفهماً : ومن تلك السيدة ؟

ـ صديقة من الدير اختلفت مع أسرتها لأنها تزوجت عاملاً .. وعندما مات زوجها توليت أمرها هى وابنها ، وآويتهما فى مسكن أعددته لهما فى هذا البيت .

وأردفت فى شئ من الضيق : وهى تؤدى لى بعض الخدمات أحياناً ، فهى ماهرة جداً فى استخدام يديها ..

ـ وفى أى طابق تقيم ؟

ـ فى نفس هذا الطابق .. خارج هذه الطرقة ، ثم اننى أفكر .. إن نافذة مطبخها .

ـ تطل على تلك الطرقة ، أليس كذلك ؟

ـ نعم .. وأمامنا بالذات .

ساد الصمت قليلاً بعد هذا التصريح ، ثم طلب مسيو فاليرب أن يمضوا به إلى هنرييت .

وجدوها تقوم بالحياكة، بينما ابنها راوول ، وهو طفل فى السادسة أو السابعة من عمره ، يقرأ بجوارها ، وإذ دهش القوميسير وهو يرى المسكن الحقير الذى أعد لها ، والذى يتكون من غرفة واحدة ليس بها مدفأة ، ومن غرفة أخرى صغيرة أعدت كمطبخ ، سألها وبدا عليها الاضطراب عندما عرفت بأمر السرقة وقالت :

ـ إننى ساعدت الكونتس بالأمس فى ارتداء ثيابها وثبت العقد حول عنقها ثم هتفت : رباه .. من كان يقول لى ..

ـ أو ليست لديك أية فكرة ؟ .. ولا أى شك ؟ ومع ذلك ، فمن الممكن أن يكون اللص قد مر من خلال غرفتك ؟

ضحكت بصوت مرتفع دون حتى أن يخطر لها أنه يمكن أن تتجه الشبهات إليها وقالت :

ـ ولكننى لم أغادر غرفتى ، وأنا لا أخرج أبداً .. ثم إنك لم تر .

وفتحت نافذة المطبخ وقالت :

ـ انظر أنها تبعد عن الحافة المقابلة بثلاثة أمتار كاملة .

ـ ومن قال لك أننا نواجه نظرية وقوع السرقة من هنا ؟

ـ ولكن ، ألم يكن العقد فى الغرفة الصغيرة ؟

ـ وكيف تعرفين ذلك ؟

ـ عجباً ! عرفت دائماً أنهما يضعانه هناك أثناء الليل ، فقد جرى الحديث عن ذلك أمامى ..

كان وجهها الذى لايزال فتيا ، والذى أذبلته الشجون ينم عن حزن عميق وخضوع للأمر الواقع .. ومع ذلك أحست فجأة ، خلال الصمت بإحساس مقلق ، كما لو أن خطراً يتهددها ، وجذبت ابنها إليها ، وأخذ الطفل يدها وقبلها فى حنان ..

وقال مسيو درو للقوميسير عندما أصبحا وحدهما :

ـ لا أظن أنك تشتبه فيها .. اننى أضمنها ، فهى الأمانة بعينها .

أجابه مسيو دى فاليرب مؤكداً :

ـ أوه إننى أوافقك تماما .. كل ما هناك أننى فكرت فى احتمال اشتراكها دون وعى منها .. ولكننى أعترف أنه لابد لى من استبعاد هذا الاحتمال .. ثم أنه لايجلو لنا المسألة التى تواجهنا .

ولم يواصل مسيو فاليرب التحقيق إلى أبعد من ذلك ، وتولاه قاضى التحقيق من بعده فى الأيام التالية، فاستجوب الخدم ، وفتشوا

الطرقة من أعلاها إلى أسفلها ، وراح كل ذلك سدى ، فقد كان الرتاج سليماً والنافذة لا يمكن فتحها أو إغلاقها من الخارج .

واستهدفت التحريات هنرييت على الخصوص ، لأنهم كانوا يعودون ، رغم كل شئ إلى تلك الناحية ، بحثوا كل ما لديها بحثاً دقيقاً ، وتحققوا أنها طوال ثلاثة أعوام لم تخرج من البيت إلا أربع مرات ، وذلك لكى تقوم بأعمال استطاعوا تحديدها .. والواقع أنها كانت تقوم بخدمة مدام دى درو ، وحياكة ثيابها ، وكانت تلك الأخيرة تعاملها بكل شدة وصرامة شهد بها جميع الخدم .

وقال قاضى التحقيق بعد أسبوع أفضى به إلى نفس النتائج التى توصل إليها مسيو فاليرب :

ـ ثم ، إذا افترضت أننا نعرف اللص ، ونحن لم نعرفه حتى الآن ، فإننا لن نعرف الطريقة التى استخدمها فى ارتكاب السرقة .. إن الطريق مسدود أمامنا بعقبتين على اليمين وعلى اليسار : باب موصد ونافذة مغلقة ، والسر مزدوج ، فكيف استطاع الدخول ، ثم أصعب ما هناك ، كيف استطاع الخروج تاركا خلفه باباً موصداً بالرتاج ونافذة مغلقة .

وبعد أربعة أشهر من تحقيقات غير مجدية كانت الفكرة السرية للقاضى هى أن مسيو ومدام دى درو كانا بحاجة ماسة إلى النقود فباعا العقد ، وحفظت القضية .

؟ ؟ ؟

أصابت سرقة العقد الثمين الزوجين درو سوبيز بصدمة كبيرة ، (ظلا يعانيان من أثرها مدة طويلة .. وكان العقد هو الكنز الوحيد الذى يعتبر الضمان) أمام دائنيهما ، فلما ضاع لم يعد من السهل عليهما الاستدانة. واضطرا إلى الإقلال من نفقاتهما بقدر المستطاع ،

ورهنا البيت ، خلاصة القول لكان الأمر بالنسبة لهما دماراً وخراباً لو لم يأتهما ارثان كبيران لبعض الأقارب مما أنقذهما من تلك الورطة

ولكن عذبتهما كرامتهما المهانة كما لو أنهما فقدا جزءاً من الأصالة والنبل ، والشئ الغريب هو أن الكونتس أظهرت حقدها وكراهيتها لصديقتها القديمة فى الدير، فقد أحست نحوها بضغينة حقيقية واتهمتها علانية .

نقلتها فى البداية إلى طابق الخدم ثم طردتها فى أحد الأيام .

ومضت الحياة بعد ذلك دون أية أحداث تذكر .. وارتحلا كثيراً .. واقعة واحدة لابد من ذكرها خلال ذلك الوقت ، فبعد بضعة شهور من رحيل هنرييت تلقت الكونتس الرسالة التالية التى ملأتها دهشة :

"سيدتى ..

إننى لاأعرف كيف أشكرك ، لأنك أنت التى أرسلت إلى هذا طبعاً ، فلا يمكن أن يكون الراسل أحد غيرك ، ولا أحد غيرك يعرف المكان الذى اعتزلت فيه ، فى هذه القرية الصغيرة .. وإذا كنت مخطئة فاعذرينى، وتقبلى على الأقل آيات إمتنانى وشكرى لأفعالك الطيبة .

ماذا أرادت أن تقول ؟ إن الأفضال الحالية أو السابقة للكونتس نحوها لم تكن إلا أعمال جائزة ، فما معنى هذا الشكر وهذا الامتنان ؟

كتبت إليها وطلبت منها أن توضح الأمر، فردت عليها بأنها تسلمت عن طريق البريد ، وبخطاب عادى غير مسجل ورقتين ماليتين كلا منهما بألف فرنك . وكان الظرف الذى يضم الورقتين يحمل طابع بريد يدل على أنه مرسل من باريس ، وليس عليه غير عنوانها، مكتوب بحروف كان من الواضح أن كاتبها قد غير خطه .

من أين أتت هاتان الورقتان الماليتان ؟ ومن الذى أرسلهما ؟ ولماذا أرسلهما الراسل إليها ؟ وقام البوليس بالتحقيق والتحرى ، ولكن لم يكن هناك أى أثر يستدل منه على شئ .

وتكرر الحادث بعد ذلك باثنى عشر شهراً ، ثم مرة ثالثة ، فرابعة ، وكل سنة طوال ستة أعوام .. ولكن حدث أن المبلغ تضاعف فى السنة الخامسة والسنة السادسة مما سمح لهنرييت ، وقد أقعدها المرض أن تعالج نفسها كما يجب .

وفارق آخر وهو أن مصلحة البريد صادرت أحد الخطابات بحجة أنه لم يوضع عليه طابع ، وأرسل الخطابان الأخيران طبقاً للإجراءات الأول من سان جرمان والثانى من سورسن .. ووقع الراسل أولا باسم أتكين ثم باسم بيشار .. وكان العنوان الذى ذكره فى كل مرة غير صحيح .

وبعد ست سنوات ماتت هنرييت ، وبقى اللغز غامضاً تماماً !

؟ ؟ ؟

عرف الجمهور كل هذه الحقائق ، فقد أثارت القضية الرأى العام ، (ومصير ذلك العقد كان غريباً ، فبعد أن تسبب فى قلب النظام) فى فرنسا فى آخر القرن الثامن عشر ، أثار الانفعال بعد ذلك بقرن من الزمان .. ولكن ما سأذكره الآن يجهله الجميع، ماعدا الأطراف المعنية بالطبع ، وبعض الأشخاص الذين طلب منهم الكونت دى درو سوبيز السرية التامة .. ولما كان هناك احتمالاً بألايفى بعض هؤلاء الأشخاص بوعودهم فلست أحفل بدورى بإماطة اللثام عن ذلك السر الغامض وسيعرف الجميع فى نفس الوقت مفتاح اللغز وتفسير الخطاب الذى نشرته الجرائد صباح أول أمس .. وهو خطاب غريب أضاف مرة أخرى ، إذا جاز لنا هذا القول ، مزيداً من الغموض إلى

هذه القضية العجيبة .

كان ذلك منذ خمسة أيام .. كان بين المدعوين الذين دعاهم الكونت دى درو سوبيز لتناول العشاء ابنتا أخيه ، وعمته ، من النساء .. ومن الرجال الرئيس إسافيل والنائب بوشاس والشيفليه فلوريانى ، الذى التقى به الكونت فى صقلية ، والجنرال المركيز دى روزيير، وهو رجل متقدم فى السن ، ومن أصدقائه فى النادى .

وبعد الطعام ، قدمت السيدات القهوة وسمحن للرجال بتدخين السجائر شريطة ألايغادروا الصالون .. وتبادلوا الحديث ، وطاب لإحدى الفتيات أن تقرأ طوالعهم فى ورق اللعب، وأن تتنبأ بمستقبلهم .. ثم تعرضوا للحديث عن أشهر الجرائم .. وكان يحلو للمسيو دى روزبير أن يضايق الكونت دائماً فانتهز هذه القصة وتحدث عن مغامرة العقد، وهو أمر كان الكونت دى درو سوبيز يبغضه ويمقته كل المقت .

وعلى الفور، أدلى كل من الحاضرين برأيه ، وتناول كل منهم القضية من وجهة نظره ، واختلفت كل الأراء بالطبع ، واتسمت كلها بالغموض ..

وخاطبت الكونتس الشيفاليه فلوريانى قائلة :

ـ وأنت أيها السيد ؟ .. ما رأيك ؟

ـ أوه .. أنا .. ليس لى رأى ياسيدتى .

احتج الجميع على الفور ، خاصة وأن الشيفالية كان قد روى لهم ببراعة فائقة مغامرات مختلفة ، اشترك فيها أبوه ، وهو قاضى مشهور فى باليرمو ، واستدلوا منها على ذوقه ومهارته فى سرد تلك المغامرات .. وقال : الحق أننى اعترف اننى أفلحت فى كشف غموض بعض القضايا فى حين أخفق فيها كثيرون وتخلوا عنها .. ولكننى لا

أعتبر نفسى كشرلوك هولمز.. ثم إننى أكاد لا أعرف عن القضية نفسها شيئاً .

تحول الجميع إلى رب البيت ، فأوجز الوقائع بإيجاز شديد على مضض .

وأصغى الشيفاليه إليه ، وفكر لحظة ثم ألقى بضعة أسئلة .

هز الكونت كتفيه .. ولكن الآخرين أحاطوا بالشفاليه ، فاستطرد يقول فى لهجة حازمة :

ـ على العموم ، لكى نرجع إلى مرتكب أية جريمة أو سرقة ، يجب أن نحدد أولاً كيفية وقوع تلك السرقة أو على الأقل من الذى استطاع ارتكابها.. وفى هذه القضية بالذات ، من رأيى ، أنه ليس هناك أسهل من ذلك لأننا لانجد أنفسنا نواجه نظريات عديدة .. وإنما نواجه يقينا، ويقيناً واحداً، ودقيقاً يفرض نفسه هكذا.. وهو أن اللص لايمكن أن يكون قد دخل من باب الغرفة أو من نافذة الغرفة الصغيرة الملحقة .. وحيث أنه لايمكن لأحد أن يفتح باباً مغلقاً من الداخل وهو فى الخارج فمعنى ذلك أنه دخل من النافذة .

قال الكونت دى درو : ولكنها كانت مغلقة ، وقد وجدناها كذلك .

استطرد فلوريانى دون أن يهتم بمقاطعة الكونت :

ـ ولكى يدخل من النافذة فهو ليس بحاجة إلا لوضع جسر أو لوح من الخشب أو سلم بين شرفة المطبخ وحافة النافذة ، وما أن أعاد الكونت العلبة إلى .

صاح الكونت فى نفاذ صبر : ولكننى أعود وأقول لك أن النافذة كانت مغلقة .

اضطر فلوريانى أن يرد عليه هذه المرة ، وفعل ذلك فى هدوء شديد

، كرجل لا يزعجه مثل هذا الاعتراض التافه :

ـ أعتقد ذلك ، ولكن أليس بها شراعة ؟

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ أولاً لأن تلك قاعدة عامة تقريباً فى مبانى ذلك العصر ، ثم لأنه لابد أن تكون هناك شراعة فى حالتنا هذه وإلا كان السرقة يظل أمرها مستغلقاً .

ـ الواقع أن هناك شراعة ، ولكنها مقفلة كالنافذة ، بل لم يلتفت إليها أحد ..

ـ هذا خطأ ، لأنكم إذا كنتم اهتممتم بها لرأيتم أنها فتحت .

ـ وكيف ذلك ؟ ..

ـ أظن أنها ، كغيرها .. تفتح بواسطة سلسلة رفيعة من الحديد فى آخرها حلقة !

ـ أجل .

ـ وهذه الحلقة تتدلى بين النافذة والصوان ؟

ـ أجل ، ولكننى لا أفهم .

ـ وبإحداث ثقب صغير فى لوح زجاج الشراعة تمكن السارق من استخدام أداة ما، ولنقل سيخاً من الحديد فى آخره صفاره معقوفة ، وأن يعلق السنارة فى الحلقة ثم يشدها ويفتح الشراعة .

قال الكونت ساخراً : حسناً ، حسناً .. إنك تذكر لنا كل شئ بمنتهى السهولة ، ولكنك تنسى شيئاً واحداً ياسيدى العزيز ، وهو أنه لايوجد ثقب فى لوح الزجاج .

ـ بل هناك ثقب .

ـ ما هذا الهذر ؟ .. كان فى الإمكان رؤيته ..

ـ لكى ترونه كان لابد من معاينته ولم يعاينه أحد. إن الثقب موجود والمنطق يؤكد أنه لابد من وجوده ، فى آخر لوح الزجاج ، فوق المعجون .. ومن الناحية العمودية طبعا .

نهض الكونت .. بدا شديد الانفعال ، وذرع أرض الصالون جيئة وذهاباً بضع مرات ، فى خطوات عصبية ، ثم اقترب من فلوريانى وقال : لم يتغير شئ فوق منذ ذلك اليوم ، ولم يضع أحد قدمه فى الغرفة الصغيرة .

ـ إذا كان الأمر كذلك ياسيدى فمن الممكن أن تتحقق بنفسك إذا كان تفسيرى يتطابق مع الواقع ..

ـ إنه لايتطابق مع أى النقاط التى تحقق منها رجال البوليس، فأنت لم تر شيئاً ، ولاتعرف شيئاً .. ومع ذلك تخالف كل ما رأينا، وكل ما نعرفه .

لم يبد على فلوريانى على الإطلاق أنه لاحظ هياج الكونت وسخطه، وقال وهو يبتسم : إننى أحاول أن أرى الأمور بوضوح ياسيدى .. وهذا كل شئ .. وإذا كنت مخطئاً فأثبت ذلك .

ـ سوف أفعل دون أى تأخير .. فإننى أعترف أن تأكيدك ..

وتمتم مسيو دى درو ببضع كلمات أخرى ثم اتجه فجأة نحو الباب وخرج ..

لم ينطق أحد بكلمة .. وانتظر الجميع فى قلق ، كما لو أن جزءاً من الحقيقة سوف يظهر .. واستمر الصمت فى حرج كبير .

وأخيراً ظهر الكونت فى فتحة الباب. كان ممتقعاً ومضطرباً جداً ، وقال لأصدقائه فى صوت متهدج :أرجو المعذرة .. إن تفسيرات السيد

لم تكن متوقعة أبداً . وما كان ليخطر لى أبداً ..

أسرعت زوجته تسأله فى لهفة :

ـ تكلم .. أرجوك .. ماذا هناك ..

تمتم : إن الثقب موجود، فى نفس المكان الذى حدده ، فى آخر لوح الزجاج ..

وأمسك بذراع الشيفاليه فى غلظة وقال بلهجة آمرة :

ـ استمر الآن ياسيدى .. اعترف أنك على حق حتى هذه اللحظة ، ولكن الآن .. لم ينته كل شئ .. فقل لى ماذا حدث ، فى رأيك ؟

تخلص فلوريانى من يده فى هدوء وقال بعد لحظة : إليك ما حدث ، فى رأيى . عرف اللص أن مدام دى درو ستمضى إلى الحفلة الراقصة بالعقد فأقام الجسر أثناء غيابكما ، وراقبكما من خلال النافذة .. ورآك تخفى العقد .. وما أن خرجت حتى أحدث الثقب فى لوح الزجاج وفتح الشراعة .

ـ ليكن .. ولكن المسافة كبيرة جداً بحيث لايمكنه الوصول من الشراعة إلى أكرة النافذة .

ـ إذا كان لم يستطع أن يفتحها فذلك لأنه دخل من الشراعة بالذات

ـ هذا محال .. فليس هناك رجل ، مهما كان نحيفاً يمكنه الدخول منها .

ـ إن الذى دخل ليس رجلا إذن ..

ـ وكيف ذلك ؟

ـ بالتأكيد .. إذا كان المكان ضيقاً جداً لايسمح بمرور رجل فلابد أن يكون الذى دخل طفل .

ـ طفل .

ـ ألم تقل أن صديقتك هنرييت كان لها ابنا ؟

ـ هذا صحيح .. واسمه راوول .

ـ المرجح تماماً أن ذلك الراوول هو الذى ارتكب السرقة .

ـ وما دليلك على ذلك ؟

ـ دليلى ؟ .. أن الأدلة كثيرة .. فمثلاً ..

وأمسك .. وفكر بضع لحظات ثم استطرد :

فمثلاً، ذلك الجسر.. ليس من المعقول أن يأتى الطفل بذلك الجسر من الخارج، وأن يعيده من غير أن يلحظه أحد.. ولاريب أنه استخدم ما رآه تحت يده .. ألم يكن فى الغرفة الصغيرة التى كانت هنرييت تستخدمها مطبخاً ألواح معلقة كانت تضع عليها الأطباق والأوانى .

ـ كان هناك لوحان على ما أعتقد .

ـ يجب التأكد إذا كان هذان اللوحان مثبتين فى الركائز التى يجب أن تتحملها.. إما إذا كان الأمر غير ذلك فعلينا أن نعتقد أن الطفل قد انتزع مساميرها، وربطهما الواحد بالآخر.. وإذا كان هناك فرن فلابد أن تجد أيضاً السيخ الذى استخدمه فى فتح الشراعة .

خرج الكونت من غير أن ينطق .. وفى هذه المرة لم يشعر الرجال بذلك القلق الذى أعتراهم فى المرة الأولى ، فقد عرفوا، وعرفوا بالتأكيد أن توقعات فلوريانى كانت صائبة .. فقد كان ينبعث من ذلك الرجل إحساس من اليقين ، ودقيق بحيث لم يعودوا يصغون إليه كما لو أنه يستنبط الحقائق من بعضها البعض ، وإنما كما لو أنه يذكر حقائق من السهل التحقق منها أولاً بأول .

ولم يدهش أحد عندما عاد الكونت وقال : إنه الطفل حقاً .. هو

تماماً .. كل شئ يؤكد ذلك .

ـ هل رأيت اللوحين ؟ والسيخ ؟

ـ رأيت .. لقد انتزعت مسامير اللوحين .. ومازال السيخ موجوداً .

ولكن مدام دى درو سوبيز صاحت :

ـ إنه هو .. إنك تعنى أن أمه هنرييت هى المجرمة الوحيدة .. فلابد أنها أجبرت ابنها .

قال الشيفاليه فى توكيد ..

ـ كلا .. لا دخل للأم فى هذه المسألة ..

ـ ما هذا الهزر ؟ إنهما كانا يقيمان فى نفس الغرفة .. وما كان الطفل ليستطيع أن يتصرف خفية عن أمه .

ـ كانا يقيمان فى نفس الغرفة طبعاً ، ولكن حدث كل شئ فى الغرفة المجاورة ، ليلاً بينما كانت أمه نائمة .

قال الكونت : لو أن الأمر كذلك لوجدوا العقد فى أمتعة الطفل !

ـ عفواً .. إنه كان يخرج .. وفى صباح نفس اليوم الذى رأيتماه فيه أمام مكتبه كان قادماً من المدرسة .. ولو أن رجال البوليس فتشوا درجه بالمدرسة لعثروا فيه على العقد ، بدلاً من إرهاق أنفسهم فى استجواب الأم .

ـ ليكن .. ولكن الألفى فرنك التى كانت هنرييت تتلقاها كل سنة ، أليس هذا أصدق دليل على إشتراكها فى السرقة ؟

ـ لو أنها اشتركت أكانت تشكركما لإرسالكما النقود ؟ ثم ، ألم يكن البوليس عاكفاً على مراقبتها ، بينما كان الطفل حراً فى رواحه وغدوه ؟ لقد كان من السهل عليه أن يمضى إلى المدينة المجاورة وأن يتفق مع بائع ما ويبيعه بثمن بخس ماسة أو اثنتين ، حسب حاجته ،

تحت شرط واحد وهو إرسال النقود من باريس ، على أن يبيعه ماسات أخرى فى السنة التالية .

¿ ¿ ¿

خيم شعور من الضيق الشديد على الزوجين درو سوبيز وضيوفهما .. كان فى لهجة وتصرف فلوريانى شئ آخر غير ذلك اليقين الذى أحنق الكونت كل الحنق منذ البداية.. كان هناك شئ أشبه بالسخرية .. سخرية كانت تبدو عدوانية ، بعيدة عن الود والصداقة كما كان يجب ..

وانفجر الكونت ضاحكا وقال : كل هذا استنتاج جميل مدهش واننى أهنئك ، فإن لك خيالاً رائعاً .

صاح فلوريانى فى وقاحة :

ـ أبداً .. أبداً .. إننى لا استنتج وإنما أعيد تصوير الأمور التى حدثت تماماً كما ذكرت .

ـ وما أدراك ؟

ـ إننى أتصور ، مما ذكرت أنت نفسك ، حياة الأم والطفل ، هناك فى جوف الريف .. الأم تصاب بالمرض ، وحيل الطفل وتدابيره لبيع الماسات وإنقاذ أمه ، أو على الأقل تخفيف لحظاتها الأخيرة .. ولكن المرض يتغلب عليها وتموت ، وتمر السنون ويكبر الطفل ويغدو رجلاً وعندئذ .. وفى هذه المرة أريد أن أترك العنان لخيالى .. لنفرض أن ذلك الرجل يشعر برغبته فى العودة إلى الأماكن التى عاش فيها طفولته ، وأن يراها ، ويجد أولئك الذين ارتابوا فى أمه واتهموها .. ولكم أن تتصوروا معى الرغبة الأليمة لمثل هذا اللقاء فى البيت القديم الذى وقعت فيه أحداث تلك المأساة .

رنت كلماته بضع لحظات فى الصمت المقلق ، وظهر على وجهى مسيو ومدام دى درو سوبيز ما يبذلان من جهد خارق لكى يفهما ، وفى نفس الوقت الخوف والقلق من أن يفهما .. وتمتم الكونت :

ـ من أنت أيها السيد ؟

ـ أنا .. أنا الشيفاليه فلوريانى الذى التقيت به فى بالرمو ، والذى تكرمت ودعوته إلى بيتك أكثر من مرة .

ـ ما معنى هذه القصة إذن ؟

ـ أوه .. ولكن لاشئ على الاطلاق .. إنها مجرد دعابة من ناحيتى .. أحاول أن أتصور فرحة ابن هنرييت ، إذا كان لايزال على قيد الحياة وهو يقول لكم أنه المذنب الوحيد ، وأنه فعل ذلك لأن أمه كانت تعانى من قسوة الحياة وعلى وشك أن تفقد عملها .. كخادمة تتعيش منه ، ولأن الطفل كان يتألم وهو يرى أمه وتعاستها .

كان يتكلم وهو يغالب انفعاله ، وقد نهض من مقعده بعض الشئ ، وينحنى نحو الكونتس .. ولم يعد هناك أى شك فى أن الشيفاليه فلوريانى لم يكن إلا ابن هنرييت .. كل شئ فى مسلكه وكلماته كان يؤكد ذلك .. ثم ، ألم تكن زوجته هذه رغبته الواضحة ، بل وإرادته الشديدة فى أن يعرف الكونت وزوجته .

؟ ؟ ؟

تردد الكونت .. أى مسلك يتخذه حيال هذا الرجل الجرئ .. هل يدق الجرس ويثير فضيحة ؟ ويفضح ذلك الذى جرده من ثروته ؟ ولكن مر على ذلك مدة طويلة ، فمن ذا الذى يصدق تلك القصة السخيفة عن طفل مذنب ؟ كلا.. إن من الخير أن يتقبل الأمر الواقع ، وأن يتظاهر بأنه لم يفهم المعنى الحقيقى ، فاقترب من فلوريانى وصاح فى فرح :

ـ إن قصتك هذه مسلية جداً وغريبة جداً .. وأقسم لك أنك أثرت اهتمامى .. ولكن فى رأيك أنت ، ماذا حدث لهذا الشاب الطيب والابن النموذجى ؟

أرجو أن لايكون قد توقف فى منتصف هذا الطريق الجميل .

ـ أوه .. انه لم يتوقف بالطبع .

ـ أليس كذلك ؟ بعد بداية كهذه ؟ يسرق عقد الملكة وهو فى السادسة من عمره .. ذلك العقد الشهير الذى كانت الملكة مارى انطوانيت تطمع فيه .

وقال فلوريانى وهو يجارى الكونت فى لعبته : وأن يسرقه دون أن يكلفه ذلك أى إزعاج ، ودون أن يخطر لأحد أن يفحص الشراعة أو أن يتحقق من أن حافة النافذة نظيفة جداً ، تلك الحافة التى مسحها ليمحو آثار مروره فوق التراب الكثيف .. واعترف معى بأن مثل ذلك العمل كان كفيلاً بأن يدير رأس طفل فى مثل سنه . ألم يكن ذلك عملاً سهلاً جداً .. ما على المرء إلا أن يريد وأن يمد يده . ولعمرى لقد أراد.

ـ ومد يده ؟

قال الشيفاليه وهو يضحك : بل مد يديه الاثنتين .

سرت بين الحاضرين رعشة .. أى سر تخفيه حياة ذلك الشيفاليه المزعوم ؟ وما أغرب حياة ذلك الأفاق ، وذلك اللص العبقرى ، الذى ، وهو فى السادسة من عمره ، وفى ولعه وحبه للمغامرة ، أو ربما إرضاء لإحساس الحقد ، جاء اليوم يتحدى ضحيته فى بيته بكل جرأة وبكل أدب ومجاملة نحو مضيفه .

ونهض ، واقترب من الكونتس ليستأذنها فى الانصراف ، وهمت بأن تتراجع ، ولكنه ابتسم وقال : أوه ، هل أخفتك ياسيدتى ؟ هل

تماديت أكثر من اللازم فى هذه الدعابة الصغيرة ؟

تمالكت نفسها وأجابت بنفس الهدوء وفى شئ من السخرية :

ـ أبداً ياسيدى .. إن أسطورة هذا الابن الطيب أثارت اهتمامى جداً ، على العكس ، ويسعدنى أن عقدى لقى مصيراً رائعاً كهذا .. ولكن ألاتعتقد أن ابن تلك .. المرأة التعسة هنربيت كان يخضع لمصيره المقدر له ؟

أجفل وقد لذعته النكتة وأجاب : أنا مقتنع بذلك ياسيدتى .. كان لابد أن يكون هذا المصير من الجدية حتى لاتفتر همته .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ إنك تعلمين ما أعنى ياسيدتى.. كانت معظم الأحجار زائفة .. ولم يكن هناك من الماسات الحقيقية إلا تلك التى اشتريت من الجوهرى الانجليزى .. أما الأخرى فقد بيعت ، الواحدة بعد الأخرى ، حسب ضروريات الحياة .

قالت الكونتس فى ترفع : ومع ذلك فقد كان لايزال عقد الملكة ياسيدى. وأظن أن هذا وحده شئ لم يستطع ابن هنربيت أن يفهمه .

ـ لابد أنه فهم ياسيدتى ، سواء كان زائفاً أو صحيحاً فإنه قبل كل شئ حلية رائعة للزينة والعرض ، وشعاراً .

أتى مسيو دى درو بحركة ، ولكن زوجته سبقته قائلة :

ـ سيدى ، إذا كان الرجل الذى تشير إليه على شئ من الاحتشام والرصانة .. وأمسكت وقد أخافتها نظرة فلوريانى الهادئة ، ولكنه كرر قولها : إذا كان على شئ من الاحتشام والرصانة ؟

أحست أنها لن تجنى شيئاً إذا هى حدثته بهذه الطريقة .. ورغماً عنها، ورغم غضبها وحنقها لكبريائها المهانة قالت له فى لهجة مهذبة :

ـ سيدى ، إن الأسطورة تقول أن عقد الملكة ، عندما وقع فى يد ريتو دى فيليت ، وانتزع منه كل الماسات هو وجان دى فالوا ، لم يجرؤ على أن يمس الهيكل نفسه بأى سوء .. أدرك أن الماسات إنما هى للزينة والزخرفة وأن الهيكل هو الفن الأساسى الذى خلقه الفنان واحترمه ، فهل تظن أن ذلك الرجل قد فهم ذلك هو الآخر ؟

ـ لا أشك فى وجود الهيكل ، فقد احترمه الطفل .

ـ حسناً إذن ياسيدى .. إذا حدث والتقيت به فقل له أنه يحتفظ بدون حق بإحدى الذخائر التى تعتبر ملكاً ومجداً لبعض العائلات ، وأنه وإن كان قد انتزع الأحجار فإن الهيكل نفسه لايزال ملكاً للأسرة دى درو سوبيز ، انه يحق لنا كاسمنا وسعادتنا .

أجاب الشيفاليه ببساطة : سأقول له ذلك ياسيدتى .

وانحنى أمامها ، وحيا الكونت ، ثم حيا الجميع ، الواحد بعد الآخر وانصرف .

¿ ¿ ¿

وجدت مدام دى درو سوبيز على منضدة غرفتها ، بعد أربعة أيام ، علبة حمراء عليها شعار الكردينال ففتحتها .. كان بداخلها هيكل عقد الملكة .

ولكن ، حيث أن كل الأمور ، فى حياة رجل يهتم بالنظام والمنطق ، ويهدف إلى نفس الغاية ، وحيث أن قليلاً من الدعابة لايمكن أن تضره فقد نشرت جريدة ايكو دى فرانس ، فى صباح اليوم التالى هذا النبأ العجيب : "عثر أرسين لوبين على عقد الملكة ، تلك الحلية التاريخية " التى سرقت فيما مضى من أسرة دى درو سوبيز .. وقد سارع بإعادته إلى أصحابه الشرعيين ، ولايسعنا إلا أن نهنئه لاهتمامه النبيل" ..




كانت لاتزال هناك ست عربات ، فى الساعة الثالثة صباحاً ، أمام أحد تلك البيوت الصغيرة التى يقطنها الفنانون والتى تقع فى آخر شارع برتييه .. وانفتح باب ذلك البيت وخرجت منه جماعة من الرجال والنساء ، وانطلقت أربع عربات ذات اليمين وذات الشمال .. ولم يبق بالشارع غير رجلين ، افترقا عند ناصية شارع كورسيل حيث يقيم أحدهما .. أما الآخر فقد عزم على المضى سيراً على قدميه حتى بوابة مايو حيث يقع منزله .

وعبر شارع دى فيلير، وتابع سيره على الرصيف المقابل للاستحكامات، وقد سره أن يمشى فى تلك الليلة الجميلة من ليالى الشتاء الصافية والباردة .. كان الهواء بليلا، وكان وقع خطواته يرن فى مرح ونشاط .

ولكن ، بعد بضع دقائق أحس إحساساً بغيضاً بأن هناك من يتبعه والواقع أنه عندما استدار فجأة لمح شبح رجل يتسلل بين الأشجار ، ولم يكن ممن يتملكهم الخوف بسهولة ، ومع ذلك فقد أسرع الخطى لكى يصل بأسرع مايمكن إلى نقطة تحصيل الرسوم بميدان تيرن .. ولكن الرجل الذى يتبعه راح يجرى ، فتملكه القلق ورأى أن من الحرص أن يواجهه ، وأخرج مسدسه من جيبه ..

ولم يسعفه الوقت لإشهاره فقد انقض الرجل عليه فى عنف ،

ودارت بين الرجلين ، على الفور، معركة ، فى الشارع المقفر ، معركة بالأيدى سرعان ما أدرك أنه سيكون فيها مدحوراً ، فصاح يطلب النجدة .. وراح يناضل ، ولكن خصمه ألقى به أرضاً ، فوق كومة من الأحجار ، وضغط على عنقه ، وكممه بأن حشر منديلاً فى فمه .. وانطبقت عيناه ، وامتلأت أذناه بالطنين ، وأوشك أن يفقد وعيه ، عندما ارتخى الضغط فجأة .. ونهض الرجل الذى كان يجثم عليه ويكتم أنفاسه بثقله لكى يدافع عن نفسه بدوره ، ضد مهاجم غير متوقع .

ضربة عصا على معصمه وركلة فى ساقه أطلق الرجل على أثرهما صرختين قويتين من فرط الألم ، وهرب وهو يعرج ويسب ويلعن ..

ولم يفكر "المنقذ" فى مطاردة الرجل ، وإنما انحنى وقال :

ـ هل أنت جريح أيها السيد ؟

لم يكن جريحاً ، وإنما كان يشعر بدوار ، وكان عاجزاً عن الوقوف على قدميه .. ولحسن الحظ لفت صياحه أحد موظفى نقطة العوايد ، فأسرع إليه . واستدعيت عربة جلس فيها السيد وبرفقته منقذه وانطلقت إلى منزله بشارع جراند أرميه .

وأمام البيت ، كان قد تمالك نفسه .. وجمع قواه ، وغالى فى تقديم شكره وقال : إننى أدين لك بحياتى أيها السيد .. وتأكد أننى لن أنسى ذلك أبداً .. وأنا لا أريد أن أزعج زوجتى فى هذه اللحظة ، ولكننى أصر على أن تعبر لك بنفسها من اليوم عن كل امتنانى .

ورجاه أن يأتى لتناول الغداء فى اليوم التالى وقال له أن اسمه لودفيك إيمير ، وأردف : هل يمكن أن أعرف إلى من لى الشرف ؟

قال الآخر : ولكن بالطبع .

وقدم نفسه قائلاً : أرسين لوبين .

؟؟؟

لم يكن أرسين لوبين قد اكتسب تلك الشهرة التى عرفها عنه الجميع عقب قضية كاهورن وهروبه من سجن السانتيه والكثير غيرها من مغامراته المثيرة .. ولم يكن يدعى حتى باسم أرسين لوبين ، فهذا الاسم الذى كان المستقبل يدخره له ويكسبه ذلك الخلود الباهر ، إنما اختلقه فحسب لكى يقدم به نفسه للرجل الذى سارع إلى إنقاذه ، ونعنى به مسيو إيمبر .. ولكن القول بأن هذا الاسم قد راق له عندئذ لأول وهلة بحيث عقد العزم على أن يعرف الناس به ، وكان فى ذلك الوقت مستعداً للنضال، وصحيح أنه كان مسلحاً بكل الأسلحة الضرورية لذلك النضال ، إلا أنه لم تكن لديه أية موارد ولكنه كان يملك القوة والإرادة اللتين يكفلان له النجاح .. ولم يكن أرسين لوبين فى ذلك الوقت غير شاب مبتدئ ..

ولهذا ما كانت أشد غبطته حين استيقظ وتذكر دعوة الليلة الماضية فها هو ذا يصل أخيراً إلى الغاية ، وهاهو أخيراً يشرع فى عمل جدير بذكائه وموهبته .. ملايين ايمبر .. يالها من فرصة ذهبية .

وارتدى ثياباً خاصة لتلك المناسبة .. سترة رثة وبنطلون مستهلك وقبعة حريرية حمراء بهت لونها وضاع رونقها ، واسورتان وياقة عنق بالية ، كل ذلك فى تنظيم كبير ولكن يدل على الفقر والفاقة .. وربطة عنق سوداء مشبوك فيه دبوس من الماس يدل على ما كان فيه من عز وترف ..

وإذ انتهى من إرتداء تلك الثياب هبط من المسكن الذى يقيم فيه فى حى مونمارتر ، وفى الطابق الثالث من نفس المنزل ، ومن غير أن يتوقف دق بقبضة عصاه على باب مغلق .. وفى الخارج ، مضى إلى

الشوارع الخـارجيـة ، ومـر بـه تـرام فـأخذ مكانه فيـه ، وكـان هناك رجل يمشى خلفه ، وهو ساكن الطابق الثالث ، فركب الترام هو الآخر وجلس بجواره .

وقال الرجل بعد لحظة : حسناً أيها الزعيم ؟

ـ تم الأمر .

ـ وكيف ذلك .

ـ إننى مدعو على الغداء فى بيته ..

ـ هكذا ؟

ـ أظنك مـا كنت لتـرضى ، كـمـا أرجـو ، أن أعـرض أيامـاً ثمـينة كأيامى بلا مقابل .. أننى انتزعت مسيو ايمبر من الموت المؤكد الذى كنت تعرضه له .. وهو رجل شكور وقد دعانى لتناول الغداء ..

وخيم صمت .. وجازف الآخر قائلاً :

ـ ألن تعدل عن قرارك إذن ؟

قـال أرسـين لوبين : أى صـغـيـر .. إذا كنت قد دبرت اعـتداء الليلة ، وإذا كنت قـد تحـمـلت فى السـاعـة السـابـعـة صـبـاحـاً ، أن (أضـربك بالعـصـا عـلى مـعـصـمك ، وأركلك بقـدمى) ، مـعـرضـاً بذلك صـديقى الوحـيد للأذى ، فليس ذلك لكى أعدل الآن عن ثمرة إنقاذ دبرته بكل هذا الاتقان .

ـ ولكن الاشاعات السيئة التى تدور حول ثروة .

ـ دعها تدور.. إننى أتابع هذه العملية منذ ستة شـهور ، وأدرسـها ، وانشـر شبـاكى وأسـأل الخدم والمقرضين ، وكل من هب ودب .. سـتـة شـهور وأنا أعيش فى ظل الزوج والزوجة، ونتيجـة كل ذلك اننى أعرف الآن ما أفعل ، وأعرف إن الثروة آلت إليهما من براونورد العجوز كما

يزعمان أو من أى مصدر آخر، وأؤكد أنها موجودة ، ومادامت موجودة فهى لى .. لنفرض أنها عشرة ملايين ، أو خمسة ، أو حتى أى شئ .. إن هناك رزم كبيرة من السندات فى الخزانة ، وإنه ليكون أمراً بالغ السوء إذا لم أضع يدى ذات يوم على المفتاح .

وتوقف الترام فى ميدان الأتوال .. وتمتم الرجل :

ـ وماذا تنوى الآن ؟

ـ لا شئ بعد .. سوف أخطرك ، فأمامنا كل الوقت ..

وبعد خمس دقائق كان أرسين لوبين يرتقى الدرج الفخم بمنزل ايمبر .. وقدمه لودفيك إلى زوجته جرفيز ، وهى امرأة قصيرة مستديرة الجسم ، ثرثارة .. رحبت بلوبين كل الترحيب ، وقالت :

ـ أردت أن نكون وحدنا لكى نحتفى بمنقذنا .

وعاملا "منقذهما" منذ البداية كما لو كان صديقاً قديماً .. وأثناء تناول الطعام كانت الصداقة قد أصبحت وثيقة والاعترافات لاتتوقف .. وروى أرسين قصة حياته.. حياة أبيه ، القاضى الشريف ، وأحزان طفولته ومتاعب الحاضر.. وروت له جرفيز بدورها أيام شبابها وزواجها ، وكرم وسخاء العجوز براوفورد ، والمائة مليون التى ورثتها والعقبات التى تحول دون استلامها للثروة والقروض التى اضطرت إلى استدانتها بفوائد باهظة ، والخصومات التى لاتنتهى بينها وبين أبناء أخوة براوفورد، والاعتراضات ثم الحراسة القضائية .. وأخيراً ، كل شئ ..

ـ وتصور يا مسيو لوبين .. أن الأسهم موجودة هنا ، فى مكتب زوجى ، وإننا إذا انتزاعنا منها كوبونا واحد فإننا نفقد كل شئ ...

إنها هى ، فى الخزانة ، ولانستطيع أن نتصرف فيها ..

سرت رعشة خفيفة فى بدن مسيو لوبين لمجرد فكرة وجود الثروة بجانبه ، وأحس إحساساً أكيداً بأن "مسيو لوبين" لن يكون من سمو الروح بحيث يشعر بنفس المشاعر السامية التى تشعر بها تلك السيدة الطيبة ..

وتمتم وقد جف ريقه : إذن فهى هنا ؟

ـ نعم .. إنها هنا .

ولم يكن لمثل تلك العلاقة التى بدأت فى تلك الظروف السعيدة إلا أن تشتد وتتوطد أواصرها .. وكان رد أرسين لوبين على الأسئلة الرقيقة التى وجهت إليه أن أعترف بفقره ومعاناته .. وعين الشاب المسكين على الفور سكرتيراً خاصاً للزوجين بمرتب مائة وخمسين فرنكاً فى الشهر ، وسمح له بالاستمرار فى إقامته بمسكنه على أن يأتى كل يوم لتلقى أوامر العمل .. وإتماماً لراحته خصصت له إحدى غرف الطابق الثانى لكى تكون مكتباً له .

ومن محاسن الصدف أن تلك الغرفة كانت تقع فوق مكتب لودفيك بالذات .

¿ ¿ ¿

لم يلبث أرسين لوبين أن أدرك أن الوظيفة التى أسندت إليه كانت وظيفة بمرتب ولكن بدون عمل ، ففى خلال شهرين لم يقم بشئ غير تحرير أربعة خطابات لا أهمية لها ، ولم يستدع إلى مكتب مخدومه إلا مرة واحدة ، وهو الأمر الذى سمح له بأن يرى الخزانة بصفة رسمية مرة واحدة .. وفوق ذلك فقد لاحظ أن صاحب تلك الوظيفة الشرفية اعتبر غير جدير بالمثول أمام النائب أو نقيب المحامين جزويل لأنه لم يدع لحضور أية حفلة من الحفلات الاجتماعية الشهيرة .

ولم يشك أو يتندم ، مفضلاً بكثير البقاء فى مكانه المتواضع ، فى الظل وبعيداً عن الأنظار، سعيداً وحراً فى أن يفعل ما يشاء .. وقام فى بادئ الأمر بعدد من الزيارات السرية لمكتب لودفيك ، وقدم خدماته للخزانة التى بقيت رغم جهوده مقفلة بكل إحكام .. كانت كتلة ضخمة من الزهر والصلب ، ذات مظهر كريه لا تتفاهم معها أية مبارد أو أية مثاقب ولا حتى المطارق .

وقال يحدث نفسه :

ـ حيث تفشل القوة تفلح الحيلة .. المهم هو أن أفتح عينى وأذنى .

واتخذ عندئذ الإجراءات القانونية ، فبعد فحص دقيق وشاق فى (أرضية غرفته استطاع أن يستخدم أنبوب من الرصاص ثبتها) فى سقف المكتب ، بين نتوءين ، فى انحدارة السقف ، وبهذا الأنبوب الكاوتشوك ، ومنظار مكبر ، كان يرجو أن يرى وأن يسمع .

ومنذ ذلك اليوم وهو يعيش على بطنه ، مستلقياً فوق الأرض ، والحق أنه رأى كثيراً الزوجين وهما يتحدثان أمام الخزانة ، ويقلبان السجلات ويفحصان الملفات .. وكانا ، عندما يعالجان الأزرار الأربعة التى يفتح القفل بها ، يحاول أن يتبين الرقم وأن يحصى عدد الدورات التى تدور ، ويراقب حركاتهما ويترصد كلماتهما.. ماذا يفعلان بالمفتاح وأين يخفيانه ..

وذات يوم هبط مسرعاً بعد أن رآهما يخرجان من الغرفة من غير أن يقفلا الخزانة ، ودخل بكل جرأة ، ولكنهما عادا على الفور، فقال :

ـ أوه ، معذرة .. إننى أخطأت الباب .

ولكن جرفيز أسرعت فجذبته إلى الداخل قائلة :

ـ ادخل يامسيو لوبين .. ادخل ، فأنت فى بيتك هنا ، أليس كذلك ؟

سوف تزودنا بنصيحة .. أية سندات نبيع ؟ السندات الأجنبية أو السندات ذات الدخل ؟

أسرع لوبين يقول وهو فى شدة الدهشة :

ولكن .. والحراسة القضائية .

ـ أوه .. إنها لم توضع على كل السندات .

وازاحت باب الخزانة ، كانت الرفوف زاخرة بالحوافظ المربوطة بالأحزمة .. وأخذت منها واحدة ، ولكن زوجها احتج قائلاً :

ـ كلا ، كلا يا جرفيز ، من الجنون أن نبيع سنداً واحداً من السندات الأجنبية فإن سعرها سيرتفع فى حين أن سندات الدخل تنخفض قيمتها .. ما رأيك ياصديقى العزيز ؟

لم يكن للصديق العزيز أى رأى ، ومع ذلك فقد نصح بتضحية سندات الدخل ، وعندئذ ، أخذت جرفيز حافظة أخرى أخرجت منها ورقة كيفما اتفق فإذا بها سند ، وضعه لودفيك فى جيبه .. وبعد الظهر اصطحب سكرتيره ، وباع السند لأحد سماسرة الأوراق المالية وقبض ستة وأربعين ألف فرنك .

وعلى الرغم مما قالته جرفيز فإن أرسين لوبين لم يشعر أنه فى بيته ، ولكن ملأته اقامته فى بيت ايمبر دهشة ، ففى مناسبات كثيرة استطاع أن يتحقق أن الخدم يجهلون اسمه .. كانوا يدعونه بالسيد ، وكان لودفيك يدعوه هكذا دائماً .. هل وصل السيد ؟ فلماذا هذه التسمية الغامضة .

ثم أنه بعد الحماس الذى لقيه فى البداية ، كان آل ايمبر لايكادان يتحدثان إليه .. ورغم أنهما كانا يعاملانه بكل الاعتبار الواجب نحو "منقذهما" فإنهما لم يهتما به أبداً .. بدا كأنهما يعتبرانه رجلاً غريب

الأطوار ، لايجب أن يزعجه أحد ، وكانا يحترمان عزلته وانفراده بنفسه كما لو أن هذا الانفراد كان قاعدة استنها لنفسه .. ونزوة من نزواته .

وذات مرة ، وهو يمر فى الردهة سمع جرفيز تخاطب سيدين قائلة : إنه رجل يحب الوحدة كثيراً .

وفكر قائلاً : ليكن .. إننى أحب الوحدة ..

وعقد عزمه عندئذ على أن لايهتم بتلك الأشياء الغريبة التى تصدر من هؤلاء الناس ، وتابع تنفيذ خطته تأكد أنه لا يجب الاعتماد على الصدفة أو على سهو من ناحية جرفيز التى لم تكن لتفترق عن المفتاح أبداً ، والتى رغم ذلك ما كانت لتأخذه إلا بعد أن تخلط أرقام القفل .. ولهذا كان لابد له من أن يحل تلك المشكلة بنفسه .

ووقع حادث عجل بالأحداث ، وهو حملة عنيفة من بعض الصحف ضد آل أيمبر .. اتهموها بالنصب والاحتيال .. وشهد أرسين لوبين وقائع هذه المأساة ، وارتباك الزوجين ، وأدرك أنه إن تأخر أكثر من ذلك فسوف يفقد كل شئ ..

بقى خمسة أيام متوالية ، بدلاً من أن يخرج كعادته فى الساعة السادسة .. كان يحبس نفسه فى غرفته ، بينما يظن الزوجان أنه غادر البيت . أما هو فكان ينبطح على الأرض ويراقب مكتب لودفيك .

لم يقع الظرف المناسب الذى ظل ينتظره طوال الأيام الخمسة ، وكان ينصرف فى منتصف الليل ، من باب الخدم ، وكان يحتفظ بمفتاحه معه .

ولكنه علم أن آل أيمبر ، رداً على التلميحات المغرضة التى تصدر من أعدائهما ، صمما على أن تفتح الخزانة وأن تجرد محتوياتها ، وفكر لوبين قائلاً : الليلة إذن .

والواقع أن لودفيك مضى إلى مكتبه بعد العشاء .. وانضمت زوجته إليه ، وراحا يقلبان سجلات الخزانة .

ومضت ساعة ، ثم أخرى .. وسمع الخدم يمضون للنوم ، ولم يعد أحد فى الطابق الأول بالبيت . وانتصف الليل وآل أيمبر يزاولان عملهما .

وتمتم لوبين : هلم بنا ..

وفتح نافذته ، وكانت تطل على الفناء ، وكانت الليلة مظلمة لا قمر فيها ولا نجوم ، فأخذ من دولابه حبلاً به عقد ثبته بحاجز الشرفة وقفز منها .. وراح يهبط فى رفق مستعيناً بالماسورة حتى بلغ النافذة التى تحت نافذته ، وكانت نافذة مكتب لودفيك .. وكانت الستائر السميكة تحجب الغرفة ، ووقف فى الشرفة لا يتحرك لحظة وهو يرهف سمعه ويمعن النظر .

وإذ طمأنه الصمت ، دفع المصراعين فى رفق ، فيجب أن يستجيبا له وينفتحا لأنه كان قد أدار رتاج النافذة بحيث لايدخل مكانه .

واستجاب المصراعان ، وعندئذ فتحهما أكثر ، فى حرص شديد ، وما أن استطاع أن يدخل رأسه حتى توقف .. فقد تسلل قليل من النور من بين الستارتين غير المحكمتين ، ورأى لودفيك وجرفيز جالسين جنباً إلى جنب أمام الخزانة ..

كانا يتكلمان فى صوت خافت وقد انهمكا فى عملهما .. وحسب لوبين المسافة التى تفصله عنهما ، والحركات الدقيقة التى يجب أن يقوم بها لكى ينقض عليهما ويصرعهما معا حتى لايسعفهما الوقت للاستغاثة .. وهم بأن ينقض عليهما عندما سمع جرفيز تقول : لقد أصبحت الغرفة شديدة البرودة منذ لحظة .. سأمضى وأنام ، وأنت ؟

ـ أود الفراغ قبل ذلك .

ـ الفراغ ؟ ولكن سوف يستغرق ذلك الليل كله .

ـ أبداً .. ساعة واحدة لا أكثر .

وانصرفت .. ومضت عشرون دقيقة ، ثم ثلاثون ، ودفع أرسين النافذة أكثر قليلاً .. واهتزت الستائر ، ودفع المصراعين مرة أخرى ، والتفت لودفيك ، وإذ رأى الستائر منتفخة بسبب الريح نهض لكى يغلق النافذة .

لم تبدر منه صرخة واحدة ، ولا حتى محاولة للاشتباك ، ففى بضع حركات دقيقة، ودون أن يتسبب فى أى أذى ، صرعه لوبين ، وغطى رأسه بالستارة وأوثق قياده ، بحيث لم يستطع لودفيك حتى أن يرى وجه مهاجمه .

ثم أسرع إلى الخزانة وأخذ حافظتين وضعهما تحت إبطه وخرج من المكتب وهبط الدرج واجتاز الفناء وفتح باب الخدم .. كانت هناك عربة تنتظر فى الشارع ، وقال للسائق : خذ هذا أولا ، ثم اتبعنى .

وعاد إلى المكتب ، وافرغا الخزانة على مرتين .. وصعد أرسين إلى غرفته ورفع الحبل ، وأزال كل أثر لاشتراكه فى العملية ..

؟ ؟ ؟

بعد بضع ساعات ، أفرغ أرسين لوبين ، بمساعدة زميله ، محتويات الحوافظ .. لم يشعر بأى أسف أو ندم ، فقد توقع ذلك من قبل .. تحقق أن ثروة آل أيمبر لم تكن بالأهمية التى نسبت إليه ، فلم تكن الملايين بالمئات ولا حتى بالعشرات ، ورغم ذلك فقد كانت فى مجموعها تكون رقما محترما على كل حال .. وكانت أسهما ممتازة وسندات للسكك الحديدية وأسهماً لقناة السويس ومناجم الشمال وغيرها ..

وأعرب عن سروره قائلاً : ستكون هناك خسارة كبيرة طبعاً عندما يحين الوقت لبيعها ، فسوف نصطدم ببعض الاعتراضات ، ويجب أن نبيعها بثمن بخس ، وعلى دفعات كثيرة .. ولكن هذا لايهم فسوف أعيش بهذا المال كما أريد .. وأحقق بعض الأحلام التى تراودنى .

ـ والباقى ؟

ـ يمكنك أن تحزمه ياصغيرى .. كل هذه الأكداس من الورق كان يبدو كأن لها قيمة كبيرة وهى فى الخزانة .. أما بالنسبة لنا فلا قيمة لها على الإطلاق .. أما الأسهم فسوف نحتفظ بها فى الدولاب بكل اطمئنان ، وسننتظر اللحظة المناسبة .

وفى صباح اليوم التالى خطر للوبين أنه ليس هناك أى سبب يمنعه من العودة إلى بيت أيمبر .. ولكن مطالعة الجرائد كشفت له عن هذا النبأ غير المتوقع ، فإن لودفيك وجرفير اختفيا ..

وفتحت الخزانة أمام جمع غفير .. ووجد القضاة فيها ما تركه أرسين لوبين .. شئ يكاد لايذكر .

؟ ؟ ؟

هذه هى الوقائع ، وهذا هو التفسير يذكره أرسين لوبين لتدخله فى بعضها .. وقد سمعت القصة من فمه بالذات ، فى يوم باح لى فيه ببعض اعترافاته .

كان يذرع غرفة مكتبى فى ذلك اليوم جيئة وذهابا وفى عينه لهيب لم أره من قبل . وقلت له : صفوة القول ، كانت هذه أعظم "خبطاتك".

ومن غير أن يرد على مباشرة ، راح يقول : فى هذه المسألة أسرار مستغلقة ولا تزال مستغلقة حتى بعد التفسير الذى قدمته لك .. فلماذا هذا الهرب ؟ لماذا لم ينتهزا الفرصة التى قدمتها لهما على غير

إرادتى .. كان من السهل أن يقولا : كانت المائة مليون موجودة فى الخزانة ، وهى ليست موجودة الآن لأنها سرقت ..

ـ لقد فقدا عقلهما ..

ـ أجل ، إنهما فقدا عقلهما .. ومن ناحية أخرى فإن الحقيقة .

ـ الحقيقة ؟ .

ـ كلا .. لا شئ ..

ما سبب هذا التردد ؟ كان من الواضح أنه لم يقل كل شئ .. وما لم يقله كان يسبب له نفوراً ولايريد أن يذكره .. تملكتنى الحيرة .. لابد أن الأمر من الخطورة بحيث يجعله يحجم عن الكلام .

وألقيت عليه بعض الأسئلة صدفة واتفاقا : ألم ترهما بعد ذلك ؟

ـ كلا .

ـ أو لم يحدث أن شعرت نحو هذين المسكينين بشئ من الرثاء ؟

أجفل وهتف : أنا ؟

أدهشتنى ثورته .. أتراني لمست الوتر الحساس .. وأصررت :

ـ طبعاً .. فلعلهما كانا يستطيعان مواجهة الموقف لولا تدخلك ، أو على الأقل يهربان وجيوبهما عامرة ..

ـ إنك تريد أن تشعرنى بتأنيب الضمير ، أليس كذلك ؟

ـ أو ليس الأمر كذلك ؟

دق المكتب بيده فى عنف وقال :

ـ يجب أن أشعر بتأنيب الضمير إذن كما تقول ؟

ـ سمه تأنيباً أو ندماً .. بالإيجاز إحساس ما .

ـ إحساس ما .. لا بأس .

ـ شخصان سلبتهما ثروة .

ـ أية ثروة ؟

ـ تلك الحوافظ المملوءة بالسندات ..

ـ تلك الحوافظ المملوءة بالسندات ! اننى سلبتهما حوافظ مملوءة بالسندات ، أليس كذلك ؟ جردتهما من ميراثهما .. أهذه غلطتى .. وهل هذه هى جريمتى ؟ ولكن ألم تخمن أيها الصديق العزيز أن تلك السندات كانت زائفة .. هل تسمع .. نعم ، كانت زائفة ..

نظرت إليه مشدوهاً وهتفت :

ـ زائفة ؟ الأربعة أو الخمسة ملايين ؟

صاح محنقاً : نعم ، زائفة .. زائفة تماماً .. كل السندات.. لم تكن أكثر من ورق لاقيمة له .. لم تكن تساوى صلداً واحداً.. لم أخرج من تلك العملية بصلدى واحد.. وتسألنى إذا كنت أشعر بتأنيب الضمير.. ولكن هما اللذان يجب أن يشعرا بتأنيب الضمير بالنسبة لى ، فقد خدعانى كما لو كنت غراً أحمق .

كان يعتريه غضب حقيقى ، سداه الحقد والكرامة المجروحة :

ـ إنهما غلبانى على أمرى منذ اللحظة الأولى .. هل تعرف الدور الذى قمت به فى هذه العملية ؟ أو بالحرى ، الدور الذى حملانى على أن أقوم به ؟ هو دور اندريه براوفورد .. نعم أيها الصديق العزيز .. وقعت فى الفخ منذ البداية دون أن أدرى .

" أدركت ذلك فيما بعد من الجرائد ، ومن ربط بعض النقاط ، بعضها ببعض ، فبينما كانا يعاملاننى كمنقذ وكرجل جازف بحياته لإنقاذ أحدهما من براثن قطاع الطرق كانا يشيران إلى كأننى من أفراد آل براوفورد .

" أليس هذا عملاً رائعاً ؟ ذلك الرجل الغريب الأطوار ، الذى يقيم فى غرفة بالطابق الثانى ويشيران إليه من بعيد كان برافورد ، وبرافورد كان أنا وبفضلى أنا ، وبفضل الثقة التى توحى بها مكانه برافورد راحت المصارف تقترضهما ، والمحامون ينصحون عملاءهم بإقراضهما .. آه .. يالها من مدرسة لمبتدئ .. آه .. أقسم لك أن هذا الدرس قد أفادنى ..

وتوقف فجأة ، وأمسك بذراعى وقال لى فى لهجة غاضبة ، أحسست فيها (مع ذلك بسمة من) السخرية والإعجاب فى نفس الوقت ، تلك العبارة التى لن أنساها: أى صديقى العزيز .. أن جوفيز إيمبر تدين لى فى هذه الساعة بخمسة عشر ألف فرنك ..

كان الأمر كأنه نكتة ، ولم يسعنى إلا أن أضحك ، وشاركنى هو الضحك أخيراً ، وراح يقهقه ثم قال : نعم ياعزيزى .. خمسة عشر ألف فرنك .. لم يقتصر الأمر على أننى لم أقبض صلدياً واحداً من مرتباتى طوال إقامتى لديهما ، وإنما (اقترضت منى خمسة عشر ألف فرنك ، كل) مدخراتى التى كنت قد أدخرتها حتى ذلك الوقت .. وهل تعرف لماذا؟ .. سأذكر لك ذلك طواعية .. لأجل فقرائها .. نعم ، كما أقول لك .. لأجل فقراء مزعومين تساعدهم خفية عن زوجها .. وقد وقعت فى الفخ. أليس هذا بعجيب ؟ أرسين لوبين تخدعه إمرأة وتسلبه خمسة عشر ألف فرنك فى حين كان هو يسلبها أربعة ملايين من السندات الزائفة .. وياللجهد والمشاق والصعاب والحيل التى تكبدتها لكى أصل إلى هذه النتيجة ..

"هذه هى المرة الوحيدة التى خدعت فيها فى حياتى .. ولكن لا بأس .. لقد استحققت ذلك تلك المرة ، وهى مرة لن أنساها مهما حدث ..




يصل بعد فوات الأوان ..

- إنه لأمر غريب أن تشبه أرسين لوبين يا فيلمون !

- وهل تعرفه ؟

- أوه ، كما يعرفه الجميع .. من صوره التى لاتشبه أى منها الأخرى ، والتى تترك كل منها لدى المرء إحساسا بأنه يرى وجها سبق أن رآه .. وهو وجهك أنت .

بدا الكدر على هوراس فيلمون وقال :

- أليس ذلك أيها الصديق العزيز ؟ وصدق أنك لست أول من أبدى لى هذه الملاحظة ..

قال ديفان فى إصرار : وإنه لشبه عجيب إلى حد أنه لولا أن ابن استيفان هو الذى أوصانى بك ، ولولا أنك لم تكن الرسام الذى تروق لى لوحاته الجميلة لتساءلت إذا لم يكن الأجدر بى أن أبلغ البوليس عنك .

قابل الجميع الدعابة بالضحك .. كان فى قاعة الطعام الكبرى بقصر تيبر سنيل غير فيلمون ، القس جيليس .. خورى القرية ، واثنا عشر ضابطاً تجرى فرقهم مناورات فى المنطقة المحيطة ، قبلت دعوة المالى الكبير جورج ديفان وأمه لإجراء تلك المناورات فى أراضيهم الشاسعة ، وصاح أحدهم :

ـ ولك ألم يقال أن أرسين لوبين قد شوهد على الشاطئ بعد مغامرته المشهورة فى القطار السريع المنطلق من باريس إلى الهافر؟

ـ هذا صحيح .. كان ذلك منذ ثلاثة شهور .. وفى الأسبوع التالى فوجئت بصديقنا العزيز فيلمون الذى شرفنى بعد ذلك ببعض الزيارات ، وهى مقدمة لزيارة سوف يدعونى إليها فى أحد الأيام أو بالحرى فى إحدى الليالى .

وعم الضحك من جديد .. وانتقل الجميع إلى قاعة الحرس القديم التى تشمل كل الجزء السفلى من برج جييوم ، حيث جمع فيه جورج ديفان الثروات الطائلة التى حصل عليها ، خلال القرون الماضية ، ملاك ثيبر مسنيل : صوانات وخزانات وفازات وشمعدانات وتحف مختلفة نفيسة إلى جانب الطنافس والسجاجيد الثمينة التى تكسو الجدران .. وفرجات النوافذ عميقة ، مزودة بالمقاعد وتنتهى بتقاطعات مقوسة بألواح من الزجاج المطوق بالرصاص .. وبين الباب والنافذة التى إلى اليسار أقيمت مكتبة ضخمة ترجع إلى عهد النهضة تقرأ على ناصيتها بالحروف الذهبية البارزة اسم القصر "ثيبر مسنيل" وتحته شعار الأسرة المعروف "إننى أفعل ما أريد" ..

وعاد ديفان يقول فى حين كان كل منهم يشعل سيجاراً : ولكن عليك أن تسرع يا فيلمون فهذه هى الليلة الأخيرة المتبقية أمامك .

فسأله الرسام : ولماذا ؟

وكان واضحاً أنه تقبل المزاح بصدر رحب : هم ديفان بأن يرد عندما أشارت إليه أمه .. ولكن جو الطعام مثير ، والرغبة فى إثارة اهتمام مدعويه تغلبا عليه فقال : وما المانع ؟ إننى أستطيع أن أحدثهم الآن ، إذ لم يعد هناك ما أخشاه من الإفصاح بما لدى ..

التفوا حوله فى فضول شديد ، وقال فى ارتياح من يشعر بأنه

سيذيع نبأ هاماً : غداً ، فى الساعة الرابعة مساء ، سيكون الرجل الانجليزى الذى لايستغلق عليه أى سر من الأسرار ، وأعنى به شرلوك هولمز ، أعظم كاشف للألغاز ظهر حتى الآن ، والرجل النابغة الذى يبدو وكأنه خرج من خيال أعظم الكتاب تخيلاً .. شرلوك هولمز ، المخبر الانجليزى الشهير ، سيكون ضيفاً عندى .

صاح الجميع : شرلوك هولمز فى تيبر مسنيل ! إذن فالأمر خطير ، أرسين لوبين موجود إذن فى الجوار ؟

ـ إن أرسين لوبين وعصابته ليسوا بعيدين ، فمن الذى سرق قصور كاهورن ومونيتين وجروشيه وكرازفيل غير لصنا الأهلى ، أرسين لوبين ! ..

ـ وهل أنذرك كما أنذر البارون كاهورن ؟

ـ إن نفس الخدعة لاتفلح مرتين .

ـ إذن ؟

ـ إذن .. هاكم الأمر .

ونهض ، وأشار بأصبعه إلى أحد رفوف المكتبة ، حيث يوجد مكان صغير خال بين كتابين ضخمين .

ـ كان هنا كتاب يرجع عهده إلى القرن السادس عشر بعنوان "سيرة آل تيبر مسنيل" وفيه قصة القصر منذ أن قام الدوق رولون ببنائه فى مكان قلعة إقطاعية .. وكان يضم ثلاث خرائط مرسومة ، إحداها تبين صورة عامة للقصر، والثانية للمبانى التى تحيط به ، والثالثة ، وهى الأهم ، رسماً لسرداب أوله يبدأ من مكان ما خارج القصر ويؤدى فى النهاية إلى هذه القاعة التى نجلس فيها الآن .. وقد اختفى هذا الكتاب منذ الشهر الماضى .

قال فيلمون : آه .. هذه علامة سيئة .. ولكن هذا لا يكفى لكى يتدخل شرلوك هولمز .

ـ هذا صحيح .. ما كان ليكفى لو لم يحدث شئ آخر له معناه إذا أضفناه إلى الأمر الذى حدثتكم عنه .. كان يوجد فى دار الكتب الأهلية كتاب آخر عن هذه السيرة بالذات ، ويختلف عن الكتاب الأول بأنه يحتوى على تفاصيل ونقاط أخرى تتعلق بالسرداب .. وأعنى بها التصميم والسلالم وتعليقات مختلفة غير مطبوعة وإنما مكتوبة بالحبر وهوامشه تكاد تمحى .. وكنت أعلم ذلك ، وأعرف أن السرداب لا يمكن اكتشافه والاهتداء إليه إلا بالاستعانة بالكتابين معا وفى نفس الوقت .. ولكن فى صباح اليوم الذى اختفى فيه كتابى اختفى كتاب دار الكتب هو الآخر ، فقد طلبه قارئ خرج به دون التمكن من معرفة الطريقة التى تمت بها السرقة ..

قابلت هذه الكلمات هتافات ، وقال بعضهم :

ـ أصبحت المسألة هذه المرة خطيرة ..

ـ وقد اهتم البوليس بالأمر عندئذ .. وقام بتحقيق مزدوج لم يسفر عن شئ فى النهاية .

ـ كما يحدث عادة عندما يتعلق الأمر بأرسين لوبين .

ـ تماماً ، وعندئذ خطر لى أن أطلب مساعدة شرلوك هولمز .. وقد أجابنى بأنه شديد الرغبة فى ملاقاة أرسين لوبين ..

قال فيلمون : ياله من شرف لأرسين لوبين .. ولكن هب أن سارقك الأهلى ، كما تدعوه ، ليس لديه أية نية لسرقة تيبر مسنيل ، لن يكون أمام شرلوك هولمز عندئذ إلا أن يعود أدراجه .

ـ بل هناك شئ آخر يهمه جداً ، وهو اكتشاف السرداب .

ـ ولكنك قلت لنا أنه يبدأ من الريف وينتهى إلى هذه القاعة .

ـ أين ، وفى أى مكان من هذه القاعة ؟ إن الخط الذى يشير إلى السرداب فى الرسم يبدأ فعلاً من دائرة صغيرة مكتوب عليها ب.ج وهذان الحرفان يشيران بلاريب إلى برج جييوم ، ولكن البرج مستدير ، ومن الذى يمكنه أن يحدد لنا فى أى مكان من الرسم يبدأ السرداب .

أشعل ديفان سيجاراً آخر، وصب لنفسه كأساً من النبيذ .. وحاصره ضيوفه بالأسئلة ، فابتسم وقد أسعده ما أثاره من اهتمام .. وقال : إن السر مفقود .. ولا أحد فى العالم يعرف حقيقته .. تقول الأسطورة أن الآباء والأبناء ذكروا أن الملوك اعترفوا ، وهم على فراش الموت بوجوده ، حتى ذلك اليوم الذى قطعت فيه المشنقة رأس جيوفرى ، أثناء الثورة الفرنسية ..

ـ ولكن مر على ذلك قرن ، ومما لاريب فيه أن البحث استمر .

ـ استمر طبعاً ولكن دون طائل .. وأنا نفسى ، عندما اشتريت القصر من آخر أحفاد ليريبورج الاصلاحى ، قمت بأبحاث كثيرة ، ولكن عبثاً، وليكن معلوماً أن ذلك البرج محاط بالماء ولايربطه بالقصر غير جسر ، وأن السرداب ، نتيجة لذلك ، لابد وأنه يمر تحت الخنادق القديمة .. وكتاب المكتبة الأهلية يشير إلى مجموعة من أربعة سلالم مجموع درجاتها ثمانى وأربعين درجة ، وهذا معناه أن عمق السرداب نحو عشرة أمتار ، وآخر سلم فى الرسم يحدد المسافة بمائتى متر .. والواقع أن اللغز كله يكمن هنا ، بين أرضية القاعة وهذا السقف وهذه الجدران ، والحق أننى أعترف بأننى أتردد فى هدمها .

ـ وليس هناك أى أثر ..

ـ وكلا على الإطلاق ..

وهنا قال الخورى جيليس :

ـ يجب أن تشير إلى التلميحين يامسيو ديفان .

صاح ديفان وهو يضحك :

ـ أوه .. إن السيد الخورى كثير الاهتمام بالأرشيف ، وهو قارئ نبيه للذكريات ولكل ما يتعلق بتمبر مسنيل .. ولكن التلميحين اللذين يشير إليهما إنما يزيدان الأمور تعقيداً .

ـ ولكن ما هما ..

ـ هل أنت مهتم بمعرفتهما ؟

ـ كل الاهتمام .

ـ أعلم إذن أنه يتضح من هذه الذكريات أن ملكين من ملوك فرنسا قد عرفا سر السرداب .

ـ ملكان من ملوك فرنسا ؟

ـ نعم .. هنرى الرابع ولويس السادس عشر .

قال فيلمون : وهما رجلان لهما وزنهما .. وكيف علم السيد الخورى بذلك ؟

استأنف ديفان حديثه قائلاً : أوه ، الأمر سهل ، ففى عشية معركة دارك ، جاء هنرى الرابع وتناول العشاء ، وقضى الليل فى هذا القصر .. وفى الساعة الحادية عشرة مساء أدخلت إليه لويز دى تانكاريل ، وهى أجمل امرأة فى نورماندیا ، عبر السرداب ، بتواطؤ من الدوق ادجار الذى أطلعه على سر العائلة فى تلك المناسبة .. وباح هنرى الرابع بهذا السر فيما بعد لوزيره سول الذى ذكر تلك الحادثة فى كتابه المعروف "أسرار الدولة الاقتصادية" وأضاف إليه تعليقات كثيرة من بينها هذه العبارة "البلطة تدور فى الهواء الذى يهتز ولكن

الجناح ينفتح فتمضى إلى السماء" .

وساد صمت ، وهتف فيلمون :

ـ ولكن هذا لايوضح شيئاً ..

ـ أليس كذلك .. من رأى جناب الخورى أن سول ذكر فى كتابه كلمة اللغز من غير أن يخون السر وهو يملى مذكراته على سكرتيره .

ـ هذه نظرية تدل على لباقة ..

ـ أوافق على ذلك .. ولكن ما هى تلك البلطة التى تدور وذلك العصفور الذى يطير ؟

ـ وما الذى يمضى إلى السماء ؟

ـ هذا سر .

وعاد فيلمون يقول : والملك لويس السادس عشر ؟ هل زارته هو الآخر وجاءته عبر السرداب ؟

ـ لا أدرى .. كل ما يمكن قوله هو أن لويس السادس عشر كان أمام لغز فى تيبر مسنيل فى سنة ١٧٨٤ ، وأن الدولاب الحديدى المشهور الذى وجدوه فى اللوفر بإيعاز من جامان كان به هذه الكلمات التى كتبها الملك بنفسه : تيبر مسنيل : ٢ ـ ٦ ـ ١٢ .

انفجر هوراس فيلمون ضاحكاً وقال :

ـ القصر ! إن الغموض يتلاشى أكثر فأكثر .

قال الخورى : لك أن تضحك كما تشاء .. ولكن هذا لا يمنع أن هذين التعليقين فيهما الحل ، وأنه فى يوم من الأيام سيأتى من يعرف كيف يفسرهما ..

قال ديفان : شرلوك هولمز أولا .. هذا إذا لم يسبقه أرسين لوبين ..

ما رأيك يا فيلمون ؟

نهض فيلمون وألقى بيده على كتف ديفان وقال :

ـ أظن أن البيانات الموجودة فى كتابك وفى كتاب دار الكتب كان ينقصهما معلومة على أكبر جانب من الأهمية .. وقد تكرمت أنت بتقديمها إلى ، وأشكرك ..

ـ بحيث ؟

ـ بحيث أن البلطة الآن وقد دارت ، والعصفور دار == تساوى ١٢ لم يعد أمامى إلا أن أبدأ العمل ..

ـ من غير أن تضيع دقيقة ؟

ـ بل من غير أن أضيع ثانية .. أفلا يجب أن أسرق مقتنياتك الليلة قبل أن يحضر شرلوك هولمز ؟

ـ الواقع أنه ليس أمامك إلا الوقت الكافى لذلك .. هل تريد أن أرافقك ؟

ـ حتى دييب ؟

ـ حتى دييب .. سأنتهز الفرصة لأستقبل بنفسى مسيو داندرول وزوجته وفتاة من أصدقائهما ، قادمين فى قطار منتصف الليل ..

وتحول ديفان إلى الضابط وأردف :

ـ على أننا سنتواجد جميعاً هنا غداً فى وقت الغداء ، أليس كذلك أيها السادة .. إننى أعتمد عليكم حيث أن جنودكم سيحاصرون المكان ويقتحمونه فى تمام الساعة الحادية عشرة ..

قبل الضابط الدعوة ،. وانصرفوا .. وبعد لحظة انطلقت سيارة ديفان وبها ديفان نفسه وفيلمون فى طريقها إلى دييب ، وهبط الرسام أمام الكازينو ، وتابع ديفان طريقه إلى المحطة .

وفى منتصف الليل هبط أصدقاؤه من القطار .. وبعد نصف ساعة وصل الجميع إلى القصر .. وبعد ساعة كانوا قد فرغوا من تناول عشاء خفيف فى الصالون وتفرقوا .

وشيئاً فشيئاً، انطفأت كل الأنوار، وخيم على القصر صمت عميق.

¿ ¿ ¿

ولكن القمر أزاح السحب التى تحجبه ، وملأ القاعة ، من نافذتيها بالضوء الأبيض.. ولكن لم يدم ذلك أكثر من لحظة فسرعان ما اختفى القمر خلف ستار التلال وساد الظلام من جديد وازداد الصمت بظلمات الليل الكثيفة تزعجه من وقت لآخر طقطقه الموبليا أو اهتزاز البوص فى الخندق الذى يحيط الجدران العتيقة بمياهه .

وراحت عقارب الثوانى تدور بلانهاية .. وأخيراً دقت الساعة معلنة الثانية .. ثم راحت الثوانى تجرى من جديد ، فى بطء ورتابة ، خلال صمت الليل الثقيل إلى أن دقت الساعة الثالثة .

وفجأة طقطق شئ أشبه بالسيمافور عندما يتحرك معلناً قدوم قطار ، وشق القاعة شعاع من النور ، من ناحية إلى أخرى ، كالسهم الذى يترك خلفه خطأ متلألئاً .. انبثق من أحد الجوانب الرئيسية للعمود الذى يقوم على يمينه اسم القصر البارزة حروفه على ناصية المكتبة .. وتوقف الشعاع فى أول الأمر على اللوح الزجاجى المواجه ، فى دائرة ساطعة ، ثم دار بكل الجوانب ، أشبه بنظرة قلقة تفحص الظلام ثم اختفى لكى ينبثق من جديد فى حين كان جزء كبير من المكتبة يدور حول نفسه كاشفاً عن فتحة كبيرة أشبه بالقبة .

دخل رجل يمسك فى يده مصباحاً كهربياً ، ثم دخل ثان فثالث يحمل كل منهما لفافة من الحبال ومعدات أخرى . وفحص الأول القاعة .. وأرهف أذنيه ثم قال : استدعيا الرفاق .

اقبل من هؤلاء الرفاق سبعة .. من السرداب .. سبعة من الرجال الأشداء الأقوياء .. وبدأ نقل المفروشات .

وتم ذلك بسرعة . وكان أرسين لوبين يمضى من قطعة من الموبليا إلى أخرى .. ويفحصها بعناية لكى يعرف قيمتها ثم يقول : انقلوها .

وتختفى القطعة فى فوهة السرداب الكبيرة .. وهكذا اختفت ستة مقاعد مستطيلة وستة أخرى عادية يرجع عهدها إلى عصر الملك لويس الخامس عشر، وسجادات نفيسة ، وثلاث لوحات مشهورة وتمثال نصفى لهودون ، وبضعة تماثيل أخرى ، وكان لوبين يقف طويلاً أمام خوان بديع أو لوحة جميلة ويتنهد .

ـ هذه ثقيلة جداً .. أو كبيرة .. خسارة !

ثم يتابع معاينته .

وفى أربعين دقيقة ، كان الصالون قد فقد بهاءه (على حد قول أرسين لوبين) ، وتم كل ذلك فى نظام رائع دون أن تصدر أية حركة أو أى صوت ، كما لو أن كل الأشياء التى نقلت كانت مكسوة بالقطن من جميع جوانبها .

وقال يخاطب آخر رجل من رجاله وهو يخرج حاملاً ساعة حائط أثرية : لاداعى للعودة .. من المفهوم طبعاً أنكم بمجرد تحميل السيارة تسرعون إلى مخزن روكفور .

ـ وأنت أيها الزعيم ؟

ـ اتركوا لى الدراجة البخارية .

وما أن انطلق الرجل حتى رد الجزء المتحرك من المكتبة مكانه، ثم ، بعد أن أخفى آثار النقل ، وأزال آثار الأقدام ، أزاح ستاراً ودخل إلى (رواق يصل بين البرج والقصر) ، وفى وسط هذا الرواق فترينة

تحتوى على مجموعة رائعة من الساعات وعلب السعوط والخواتم الفريدة ومشابك ومنمنمات دقيقة الصنع . واغتصب القفل بملقاط ، وما كان أشد سروره وهو يلتقط هذه التحف الذهبية والفضية التى تدل على ذوق رائع ..

وكان قد علق حول (عنقه كيساً كبيراً من) القماش جاء به خصيصاً من أجل ذلك ، فملأه وملأ كذلك جيوب سترته وصديره ، وأطبق ذراعه الأيسر على كومة من الدرد التى طالما أعجب بها قدماؤنا والتى يبحث عنها معاصرونا بكل شغف .. عندما تناهى إلى أذنيه صوت .

أرهف سمعه .. كلا .. إنه لم يخطئ . إن الصوت يزداد وضوحاً .

وتذكر فجأة . فى آخر الرواق سلم داخلى يؤدى إلى مسكن شاغر حتى الآن ولكنه أعد الليلة لتلك الفتاة التى مضى ديفان لاستقبالها فى محطة دييب هو وصديقه داندرول وزوجته .

وبسرعة عجيبة أطفأ مصباحه الكهربى ، وما كاد يصل إلى ركن النافذة حتى انفتح باب فى أعلا السلم ، وأنار شعاع خفيف الرواق .

أحس ، لأنه كان مختبئاً خلف ستار ولايمكنه أن يرى ، أحس بأن شخصاً يهبط الدرجات الأولى فى حذر.. وراوده الأمل فى أن لا يقترب ذلك الشخص كثيراً، ولكنه هبط مع ذلك ، وتقدم بضع خطوات فى الغرفة .. غير أنه أطلق صرخة ، ولاريب أنه رأى الفترينة المحطمة والفارغة تقريباً .

وأدرك ، من العطر الذى تناهى إليه أن الذى هبط امرأة .. ولمست ثيابها الستارة التى يختفى خلفها ، وخيل إليه أنه يسمع دقات قلبها ، وأنها هى الأخرى أحست بوجود شخص خلفها ، فى الظلام ، فى متناول يدها .. وحدث نفسه يقول : أنها خائفة .. سوف تنصرف ..

محال أن تبقى ولكنها لم تنصرف . والشمعة التى كانت تهتز فى يدها ثبتت .. واستدارت ، وترددت لحظة ، وبدا أنها تصغى للصمت المروع ثم ، بحركة ثابتة ، وأزاحت الستار . ورأى كل منهما الآخر .

وهتفت أرسين لوبين مضطرباً : أنت .. أنت يا آنسة !

كانت هى الآنسة نيللى .

نيللى ، فتاة الباخرة التى ملأت رأسه بأحلام الشباب طوال تلك الرحلة المشهورة التى لايمكن أن ينساها أى منهما .. تلك التى شهدت إلقاء القبض عليه ، وألقت إلى البحر بآلة التصوير التى أخفى فيها المجوهرات والأوراق المالية التى كان قد سرقها .. الآنسة نيللى .. المخلوقة العزيزة الباسمة التى طالما أحزنته صورتها ، وأبهجته أثناء الساعات التى قضاها فى السجن .

وياله من قدر عجيب ، ذلك الذى يجمع بينهما فى هذا القصر ، وفى هذه الساعة من الليل ، لم يتحرك أو ينطق أى منهما من فرط الدهشة ، وكأن مغنطيسا قد جمد كل منهما أمام الآخر .

وترنحت ، وحطمها الانفعال .. واضطرت إلى أن تجلس .

أما هو فقد بقى واقفاً أمامها .. وشيئاً فشيئاً ، خلال الثوانى الطويلة التى تمر، أحس بالإحساس الذى انطبع عنه فى ذهنها فى تلك اللحظة ، وذراعاه محملتان بالتحف ، وجيوبه منتفخة ، والكيس مملوء حتى ليكاد ينشق.. واستولى عليه اضطراب كبير واصطبغ لونه وهو يجد نفسه فى ذلك الموقف الفظيع كلص يفاجأ متلبساً بجريمته .. أصبح بالنسبة لها ، مهما يحدث ، مجرد لص عادى يضع يده فى جيب الآخرين ، ويغتصب الأبواب ويتسلل منها خفية .

وقعت إحدى الساعات على السجادة ، وأعقبتها ساعة ثانية ، وأوشكت أشياء أخرى أن تقع من ذراعيه ، ولم يعرف كيف يحتجزها

.. وعندئذ استقر عزمه فجأة، وترك بعض الأشياء تقع على مقعد وأفرغ جيوبه وتخلص من الكيس .

أحس عندئذ أنه أصبح أكثر إرتياحاً أمام نيللى ، وتقدم نحوها خطوة يريد أن يخاطبها ، ولكنها أتت بحركة مفاجئة وتراجعت ، ثم أسرعت بالنهوض ، كما لو أن الذعر قد تملكها .. واندفعت نحو النافذة .. وهبطت الستارة خلفها، ولحق بها .. كانت تقف لاهثة ، ترتجف ، تتأمل عيناها فى هلع الغرفة التى أفرغت من محتوياتها ، وأسرع يقول : غداً ، فى الساعة الثالثة ، سيعود كل شئ مكانه . سيعاد كل شئ .

لم تنطق ، فعاد يقول : غداً فى الساعة الثالثة . إننى أعدك بذلك . لن يمنعنى شئ فى العالم من الوفاء بوعدى . غداً ، فى الساعة الثالثة

أطبق عليهما صمت ثقيل لم يجرؤ على قطع حباله ، وسبب له انفعال الفتاة ألماً حقيقياً ، وفى هدوء ، ومن غير أن يتكلم ، ابتعد عنها .

وفكر .. فلتنصرف .. فلتشعرنى أنها يمكنها أن تنصرف .. لايجب أن تخاف منى .

ولكنها أجفلت فجأة وتمتمت :

ـ اسمع ! .. خطوات .. إننى أسمع أحداً يمشى .

نظر إليها مشدوهاً .. كان الاضطراب يبدو عليها كما لو أن خطراً يقترب ويتهددها . وقال : إننى لا أسمع شيئاً ..

ـ كيف ؟ .. ولكن يجب أن تهرب . أسرع واهرب .

ـ أهرب ؟ .. ولماذا ؟

ـ يجب ذلك .. يجب .. آه .. لاتبق هكذا .

وأسرعت حتى باب القاعة ، وأرهفت أذنيها . كلا ، لايوجد أحد . ربما صدر الصوت من الخارج .. انتظرت لحظة ثم استدارت وقد أطمأنت .

كان أرسين لوبين قد اختفى .

؟ ؟ ؟

فى نفس اللحظة التى تحقق فيها ديفان من أن محتويات القاعة قد نهبت قال يحدث نفسه : فيلمون هو السارق . وفيلمون هو أرسين لوبين .. كل شئ يفسر ذلك ، ولايمكن أن يكون الأمر غير ذلك . غير أنه سرعان ما أبعد هذه الفكرة عن ذهنه فمن غير المعقول أن يكون فيلمون شخصاً آخر غير فيلمون ، أى الرسام المعروف ، وزميل ابن عمه داستيفان فى النادى . وعندما أقبل رقيب الشرطة لم يخطر له أن يخبره بافتراضه السخيف .

ساد الهرج والمرج فى ضحى ذلك اليوم فى قصر تيبر مسنيل .. راح رقيب الشرطة والخفير ومدير بوليس دييب وأهالى القرية ، راح كل هؤلاء الناس يتحركون حول القصر فى ذهول كبير .. وأضاف إلى غرابة المنظر اقتراب الفرق التى يجب أن تقوم بالمناورات ، وانطلاق البنادق .

لم يسفر التحقيق الأولى عن شئ ، فإن النوافذ كانت سليمة لم تمتد إليها يد ، ولم تغتصب الأبواب ، ولم يكن هناك شك فى أن نقل محتويات القاعة تم من خلال الممر السرى . ومع ذلك فإن السجاد لم يكن به أى أثر مريب .

ولكن حدث شئ (غريب يدل على مزاح أرسين) لوبين ، فإن الكتاب المشهور الذى يضم تاريخ القصر والذى سرق (عاد إلى مكانه ، وبجواره النسخة المشابهة التى سرقت) من دار الكتب .

أقبل الضباط فى الساعة الحادية عشرة ، واستقبلهما ديفان مرحباً ، فإذا كان قد أزعجه ضياع مقتنياته الثمينة والأثرية فإن ثروته كانت تسمح له بتحمل تلك الخسارة دون أى حزن .. وهبط أصدقاؤه : مسيو داندرول وزوجته ، وصديقتهما نيللى .

وبعد التعارف أتضح أنه يثير شبهات جرج ديفان .. ولكنه هتف يقول مع دقات الساعة الثانية عشرة : ها أنت أخيراً .

ـ هل تأخرت ؟

ـ نعم .. ولكن كان يمكن أن لاتأتى ، بعد هذه الليلة المضطربة ، لأنك لاشك تعرف ما حدث .

ـ وماذا حدث ؟

ـ إنك سرقت القصر .

ـ ما هذا الهذر ؟

ـ الأمر كما أقول لك . ولكن أعط ذراعك أولا للآنسة أندروود ، ولنمض إلى المائدة .. اسمحى لى يا آنسة .

وأمسك وقد أدهشه ارتباك الفتاة ، ثم تذكر فجأة فقال :

ـ آه .. هذا صحيح .. سبق لك أن سافرت مع أرسين لوبين قبل إلقاء القبض عليه . إن الشبه يثير دهشتك ، أليس كذلك ؟

لم تنبس بكلمة .. وانحنى فيلمون أمامها وهو يبتسم ، فأخذت ذراعه ، ومضى بها إلى مكانها ، وجلس قبالتها .

وكان الحديث طوال الطعام عن أرسين لوبين ، وعن المسروقات والسرداب وشرلوك هولمز.. وعندما فرغوا من طعامهم ، وفيما هم ينتقلون إلى أحاديث أخرى اشترك فيلمون فى الحديث ، وكان يداعب آنا ورزينا ، وكان لبقا ومسليا ، وبدا أن كل ما كان يقوله إنما لكى

يدخل السرور إلى قلب الفتاة .. أما هى فكانت مشغولة الفكر إلى حد أنها بدت كأنها لاتسمعه ..

وقدمت القهوة فى الشرفة التى تشرف على فناء الشرفة والحديقة الفرنسية ، بجوار الواجهة العمومية . وفى وسط الفناء كانت موسيقى الجيش تعزف ، وجموع الفلاحين والجنود تنتشر فى كل أرجاء الحديقة .

ومع ذلك فقد تذكرت نيللى وعد أرسين لوبين " فى الساعة الثالثة سيكون كل شئ هنا . إننى أعدك بذلك " .

فى الساعة الثالثة فى حين إن عقارب الساعة الكبيرة التى تزين الجناح الأيمن .. كانت تشير فى تلك اللحظة إلى الثانية والدقيقة الأربعين . كانت تنظر إليها رغماً عنها كل لحظة ، كما لو كانت تنظر أيضاً إلى فيلمون الذى يتأرجح فى اطمئنان وهدوء فى مقعد مستطيل

الثانية والدقيقة الخمسون .. الثانية والدقيقة الخامسة والخمسون .. وضاق قلب الفتاة من فرط قلقها . هل من الممكن أن تقع المعجزة ، وأن تقع فى نفس الدقيقة الموعودة فى حين أن القصر والأنحاء تعج كلها بالناس ، وأن النائب العام وقاضى التحقيق لايزالان يباشران مهمتهما .

ومع ذلك .. مع ذلك ، وعدها أرسين لوبين بكل جد ووقار .. وفكرت متأثرة بكل ما فى ذلك الرجل من نشاط وقوة ويقين .. سيكون الأمر كما قال .. ولم يبد لها الأمر كمعجزة وإنما كحدث طبيعى يجب أن يتم بقوة الأشياء .

والتقت أعينهما لحظة ، فاصطبغ وجهها وحولت رأسها .

الساعة الثالثة .. دقت الدقة الأولى ثم الثانية فالثالثة .. وأخرج هوراس فيلمون ساعته ، ورفع عينيه إلى ساعة الحائط ثم أعاد ساعته

إلى جيبه .. ومرت بضع ثوان وإذا بالناس فى الخارج تتفرق مفسحة الطريق لعربتين اجتازتا باب الحديقة ، وكل منهما يجرها جوادان .. وكانت من تلك العربات التى تتبع الفرق بأغذية الضباط وحقائب الجنود .. وتوقفت أمام باب القصر، وهبط من إحداها رقيب وطلب مقابلة مسيو ديفان .

وأسرع ديفان وهبط الدرجات الأمامية ، ورأى تحت الأغطية منقولاته بما فيها من موبليا ولوحات وتحف ، كلها مصفوفة بعناية كبيرة .

وأجاب الرقيب على الأسئلة التى وجهت إليه بأن أبرز الأمر الذى تلقاه من مساعد الخدمات ، فقد تسلم ذلك المساعد صباح اليوم تقريراً يأمره بأن تنقل الفرقة الثانية من الكتيبة الرابعة المنقولات الموجودة فى مفرق هالو بغابة آرك إلى السير جورج ديفان ، صاحب قصر تيبر مسنيل ، والتقرير موقع باسم الكولونيل بوفيل .

وأردف الرقيب يقول : وكان كل شئ معداً فى المفرق ، مصفوفاً فوق الحشائش ، وتحت حراسة .. المارة . وقد بدا لى الأمر غريباً ، ولكنه كان واضحاً .

وفحص أحد الضباط التوقيع . كان مقلداً، ولكن التقليد كان متقناً.

وكانت الموسيقى قد انقطعت عن العزف . وأفرغت العربتان وأعيدت المسروقات .

بقيت نيللى وحدها فى آخر الشرفة .. تجتاحها موجة من الاضطراب كانت هادئة المظهر ولكن القلق كان يعتصرها ، تدور فى رأسها أفكار مشوشة ، لاتحاول أن تجمعها .. وفجأة أبصرت فيلمون يقترب . وتمنت أن تتجنبه ولكن زاوية الدرابزين الذى يحيط بالشرفة من جانبها، وبعض الأشجار لم تمكنها من تجنب الطريق الذى يقترب

الشاب منه ، فلم تتحرك .. وإنما تحرك شعاع من الشمس فوق شعرها الذهبى . وتمتم صوت فى خفوت :

- هاأنذا وفيت بوعدى لك الليلة .

كان أرسين لوبين بجوارها ، ولم يكن حولهما أحد .

وعاد يقول ، متردداً ، وفى شئ من الخجل :

- إننى وفيت بوعدى الليلة .

وانتظر كلمة شكر، أو على الأقل حركة تنم عن اهتمامها بما حدث ولكنها لم تنطق ولم تتحرك .

أحنق هذا الازدراء أرسين لوبين ، وأحس فى نفس الوقت بعمق مايفرق بينه وبين نيللى الآن ، وقد عرفت الحقيقة .. وأراد أن يبرر موقفه ، وأن يبحث عن اعتذارات، ويظهر ما فى حياته من إقدام وجرأة وعظمة .. ولكن الكلمات خانته ، فتمتم عندئذ فى حزن وقد غمرته موجة من الذكريات .

- ما أبعد الماضى! أتتذكرين الساعات الطويلة ، على سطح الباخرة لابروفانس ؟ آه .. كنت تمسكين زهرة باهتة كتلك التى تمسكينها الآن . وقد طلبتها منك ، ولكن بدا عليك أنك لم تسمعينى .. ومع ذلك فقد وجدت الزهرة بعد انصرافك ، ولاريب أنك نسيتها ، فاحتفظت بها .

بقيت على صمتها ، (وبدا كأن بينهما حاجزاً كبيراً) فاستطرد :

- تذكرى تلك الساعات ولاتفكرى فيما تعلمين.. دعى الماضى يرتبط بالحاضر.. تصورى أننى لست الذى رأيته الليلة وإنما ذلك الذى سبق أن رأيته فيما سبق . ولتنظر عيناك إلى الآن ولو للحظة واحدة كما نظرتا إلى وقتئذ .. أرجوك ، ألست أنا نفس الرجل ؟

رفعت عيناها كما طلب منها ونظرت إليه ثم ، ومن غير أن تنطق

وضعت أصبعها على الخاتم الذى فى أصبعها السبابة من يدها الأخرى . لم يكن قد لمحه قبل ذلك .. ولكن عرفه من مظهره فاصطبغ وجهه ، فقد كان الخاتم ملكاً لجورج ديفان .

ابتسم فى مرارة وقال : أنت على حق .. ما حدث سيبقى دائماً فإن أرسين لوبين لم ولن يستطيع إلا أن يكون أرسين لوبين . بل لا يمكن أن تكون هناك حتى ولو مجرد ذكرى . سامحينى ، كان يجب أن أفهم أن مجرد وجودى بجوارك إهانة لك .

والتصق بالداربزين وقبعته فى يده ، فمرت بجواره . وود لو أن يحتجزها ، ولكن الجرأة لم تواته ، وتابعها بعينيه كما فعل فى اليوم البعيد الذى اجتازت فيه عبارة الباخرة ، على رصيف نيويورك ، وصعدت الدرجات المؤدية إلى غرفتها . وارتسمت هيئتها الرقيقة لحظة قصيرة فوق رخام الردهة ، ثم لم يرها بعد ذلك .

واختفت الشمس خلف سحابة ، وراح لوبين ينظر ، وهو جامد لا يتحرك ، إلى آثار الأقدام الصغيرة فوق الرمال . وأجفل فجأة فقد رأى على المقعد الذى استندت نيللى إليه الوردة .. الوردة الباهتة التى لم يجرؤ أن يطلبها منها .. لاريب أنها نسيتها هى الأخرى .. ولكن هل نسيتها عمداً أو سهواً .

أمسكها فى حمية . انفصلت منها بعض أوراقها ، فالتقطها ورقة ورقة كما لو كانت بقايا ثمينة وقال يحدث نفسه :

- هلم بنا .. لم يعد هناك ما أفعله هنا .. فلنفكر فى الانصراف الآن ، فمادام شرلوك هولمز سيتدخل فقد يسوء الموقف .

¿ ¿ ¿

أقفرت الحديقة .. ومع ذلك ، فقد وقفت جماعة من الجنود بجوار الكوخ الذى يشرف على المدخل. فمضى إلى الداخل ، وتسلق السور ،

وسلك طريقاً مختصراً يؤدى إلى المحطة . ولم يكن قد مشى أكثر من عشر دقائق حتى ضاق الطريق بين منحدرين ، ورأى رجلاً قادماً نحوه من الناحية الأخرى .

كان فى حوالى الخمسين من عمره ، حليق الذقن ، تدل بدلته على أنه أجنبى ، وكان يمسك فى يده عصا ثقيلة ، وتتدلى من عنقه حقيبة صغيرة .

وتقابلا ، وقال الأجنبى بلكنة انجليزية تكاد لاتلحظ :

ـ معذرة أيها السيد .. أهذا هو الطريق المؤدى إلى القصر ؟

ـ إلى الأمام قدما أيها السيد ، وعندما تبلغ السور خذ يسارك . إنهم ينتظرونك بفارغ الصبر .

ـ آه !

ـ نعم يا صاحبى .. لقد أخبرنى صديقى ديفان بقدومك مساء أمس .

ـ تبا له إذا كان قد أفرط فى الكلام .

ـ ويسعدنى أن أكون أول من يحييك ، فأنا من أشد المعجبين بشرلوك هولمز .

كان فى صوته رنة غير ملحوظة من السخرية ندم عليها على الفور ، لأن شرلوك هولمز تأمله من إخمص قدميه حتى أعلى رأسه بعين فاحصة ومستريبة فى وقت واحد .. أحس أرسين لوبين بأنها تشمله كله كما لو كانت عدسة آلة تصوير ، وأنها سجلت كل لمحة من ملامحه .. وفكر قائلاً : لقد التقط صورتى .. لن يجدى تنكرى أمام هذا الرجل .. ولكن .. أتراه عرفنى ؟

وحيا كل منهما الآخر، ولكن دوى صوت خطوات ودبيب جياد

تتقدم تصحبهما صلصلة معدنية . كان بعض الجنود يتقدمون ، واضطر الرجلان إلى الالتصاق بالمنحدر ، وبالعشب الطويل حتى لاتلمسهما الجياد .. ومر الجنود ، متتابعين ، على مسافات متقاربة . وفكر لوبين :

ـ كل شئ رهن بهذا السؤال .. هل عرفنى ؟ إذا كان قد عرفنى فقد ينتهز الفرصة ويستغل الموقف .. إن الأمر يدعو إلى القلق ..

وعندما تجاوزهما آخر الجنود ، اعتدل شرلوك هولمز ، ونفض ثيابه من الغبار من غير أن يتكلم .. وكانت حقيبته قد اشتبكت فى غصن شجرة فأسرع لوبين وخلصها .. وفى اللحظة التالية ، حدق كل منهما فى الآخر فاحصاً . ولو أن أحداً رآهما فى تلك اللحظة لأدهشه منظر اللقاء الأول لهذين الرجلين لفرط غرابته ، ولما ينبعث من كل منهما من قوة وعزيمة وإصرار ، واللذين جمع بينهما القدر كما يجمع بين قوتين متعادلتين ، تدفع قوة الأحداث كل منهما نحو الآخر . ثم قال الانجليزى : إننى أشكرك أيها السيد .

ورد عليه لوبين قائلاً : وأنا فى خدمتك أيها السيد .

وافترقا . فمضى لوبين نحو المحطة ، فى حين يمم شرلوك هولمز نحو القصر .

¿ ¿ ¿

كان قاضى التحقيق ووكيل النيابة قد انصرفا بعد أبحاث مضنية لم تسفر عن شئ .. وانتظر الجميع شرلوك هولمز فى فضول كبير تبرره سمعته الواسعة . ولكنهم شعروا بشئ من خيبة الأمل لمظهره كبورجوازى ، يختلف كل الاختلاف عن الصورة التى رسموها له فى خيالهم . لم يكن به فى الأذهان اسم شرلوك هولمز ومع ذلك فقد هتف ديفان فى فورة من الحماس :

ـ ها أنت أخيراً يا أستاذ ! ما أشد سعادتنا ! لقد مر وقت طويل وأنا أرجو .. أنا سعيد بكل ما حدث مادام ذلك قد أسعدنى برؤيتك . ولكن كيف أتيت ؟

ـ بالقطار .

ـ هذا أمر مؤسف . ومع ذلك فقد أرسلت بسيارتى لكى تنتظرك فى الميناء .

دمدم الانجليزى : كنت تريد أن تستقبلنى استقبالاً رسمياً ، أليس كذلك ؟ .. بالطبل والموسيقى ! .. طريقة ممتازة لتسهيل مهمتى .

أزعجت هذه اللهجة ديفان ، ولكنه حاول المزاح مع ذلك ، فقال :

ـ لحسن الحظ أن المهمة أسهل مما ذكرت لك فى خطابى .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ لأن السرقة وقعت فى الليلة الماضية .

ـ لو أنك لم تعلن عن قدومى أيها السيد لكان من المحتمل أن لاتقع السرقة تلك الليلة .

ـ ومتى كانت تقع إذن ؟

ـ غداً .. أو فى أى يوم آخر .

ـ وفى تلك الحالة ؟

ـ كان لوبين سيقع فى الفخ .

ـ ما كان فى استطاعته أن يسرقها .

ـ ولكنها هنا .

ـ هنا ؟

ـ أعيدت فى الساعة الثالثة اليوم .

ـ أهو لوبين الذى أعادها ؟

ـ أعيدت فى عربتين من عربات الجيش .

ضغط شرلوك هولمز بقبعته على رأسه ، وعدل من وضع حقيبته ، وهتف ديفان وهو يضحك :

ـ ماذا تفعل ؟

ـ إننى عائد .

ـ ولماذا ؟

ـ إن مفروشاتك هنا ، ولوبين بعيد ، ودورى انتهى ..

ـ ولكننى بحاجة ماسة إلى مساعدتك أيها السيد العزيز ، فما حدث أمس يمكن أن يحدث غداً من جديد مادمنا نجهل أهم شئ ، وهو كيف دخل أرسين لوبين هنا ، وكيف خرج . ولماذا أعاد ما سرقه بعد ساعات .

ـ آه . أنت تجهل .

فكرة إكتشاف السر ألانت أسارير شرلوك هولمز ، فقال :

ـ ليكن . ولكن لتسرع ، ولنكن بمفردنا بقدر المستطاع .

كان يشير بصراحة بقوله هذا إلى الموجودين . وأدرك ديفان ما يعنيه الانجليزى ، وأخلى القاعة . وفى لهجة جافة (وعبارات بدت كأنها) معدة من قبل ، ألقى شرلوك هولمز عليه أسئلة عن ليلة الأمس ، وعن المدعوين الذين كانوا حاضرين ، وعن الذين إعتادوا ارتياد القصر ، ثم فحص الكتابين ، وقارن بين خرائط السرداب ، واستمع إلى تعليقات الخورى جيليس ، ثم سأل :

ـ هل تذكرتم هذين التعليقين أمس لأول مرة ؟

- نعم .

- ألم تذكرهما قبل ذلك أبداً لمسيو هوراس فيلمون ؟

- أبداً ..

- حسناً ، أرجو أن تأمر سائقك بأن تكون على استعداد ، فإننى سأنصرف بعد ساعة.

- بعد ساعة .

- لم يكن أرسين لوبين بحاجة إلى أكثر من ذلك لكى يحل المعضلة التى قدمتها له .

- أنا . قدمت له !!

- بلى ، فإن أرسين لوبين وفيلمون شخص واحد .

- كنت فى شك من ذلك .. آه . ياللوغد !

- وقد قدمت له أنت فى الساعة العاشرة من مساء أمس العناصر التى كانت تنقصه ، والتى كان يبحث عنها منذ أسابيع .. ووجد لوبين أثناء الليل الوقت الكافى لكى يفهم ولكى يجمع عصابته وينهب قصرك .. وفى نيتى أن أكون فى مثل سرعته .

وراح يمشى فى الطرقة جيئة وذهاباً وهو يفكر . ثم جلس وعقد ساقيه الطويلتين وأطبق عينيه .

وانتظر ديفان وقد بلغ به الضيق مداه .

- هل ينام ؟ .. أم يفكر ؟

وخرج أخيراً لكى يصدر أوامره .. وعندما عاد رآه عند أسفل السلم بالرواق ، يفحص السجادة فسأله : ماذا هناك ؟

- انظر .. هنا .. إلى بقع الشمع هذه .

ـ آه .. هذا صحيح .. وهى حديثة .

ـ ويمكنك أن تجد آثاراً أخرى منها فى أعلا السلم ، والكثير منها أيضاً حول هذه الفترينة التى اغتصبها أرسين لوبين ، وأخذ منها التحف لكى يضعها فوق المقعد .

ـ وماذا تستنتج من ذلك ؟

ـ لاشئ .. لاريب أن كل هذه النقاط تفسر السبب فى إعادة المسروقات ، ولكن هذا جانب من المسألة لايسعفنى الوقت لإماطة اللثام عنه .. المهم الآن هو اكتشاف السرداب .

ـ أمازلت تأمل ؟

ـ إننى لا آمل وإنما أعلم .. لاريب أنه توجد كنيسة على بعد مائتين أو ثلاثمائة متر من القصر .

ـ نعم .. كنيسة خربة تضم رفات الدوق رولون .

ـ قل لسائقك أن ينتظرنا أمام هذه الكنيسة ..

ـ إن سائقى لم يعد بعد .. ويجب أن ينبئونى بعودته . ولكن هل تعتقد ، مما تقول ، أن السرداب يؤدى إلى الكنيسة .. ولكن على أى شئ بنيت استنتاجك هذا ؟

ولكن هولمز لم يرد على سؤاله وإنما قال :

ـ أرجوك ياسيدى أن تأتينى بسلم ومصباح كهربى .

ـ آه .. هل أنت بحاجة إلى سلم ومصباح كهربى .

ـ أظن ذلك ، مادمت قد طلبتهما منك .

ورغم حيرة ديفان إزاء هذا الطلب ، فإنه لم يسعه إلا أن يدق الجرس .

وجيئ بالمطلوب .

وتتابعت الأوامر بكل صراحة ودقة الرجال العسكرين :

ـ ضع السلم أمام المكتبة ، على يسار كلمتى قصر تيبر مسنيل .

وضع ديفان السلم كما قيل له ، واستطرد الانجليزى :

ـ لاشئ على اليسار .. ولكن على اليمين .. آه .. مهلاً .. اصعد .. حسناً ، كل أحرف هذه الكلمة بارزة ، أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ لنهتم الآن بحرف الصاد .. هل يدور يميناً أم شمالاً ؟

أمسك ديفان بحرف الصاد وهتف :

ـ أجل ، إنه يدور ، نحو اليمين ربع دورة .. من الذى كشف لك ؟

قاطعه شرلوك هولمز قائلاً :

ـ هل يمكنك أن تبلغ الحرف السادس من مكانك ؟ .. نعم ، حركه مراراً كما لو أنك تحرك (مزلاج باب) تحاول أن تدفعه أو تسحبه .

حرك ديفان (حرف الباء وما كانت أشد دهشته عندما صدرت طقطقة داخله كما لو أن شيئاً يتحرك) وقال شرلوك هولمز :

ـ حسناً .. لم يعد أمامنا الآن إلا أن ننقل السلم إلى الناحية الأخرى ، أعنى عند نهاية كلمة تيبر مسنيل .. حسناً .. والآن ، إذا لم أخطئ ، وإذا سارت الأمور كما ينبغى فإن حرف اللام سينفتح كما تنفتح النافذة ..

أمسك ديفان بحرف اللام بكل وقار وحركه ، وانفتح الحرف فعلاً ، غير أن ديفان تدحرج من فوق السلم ، لأن كل الجزء الواقع من المكتبة ، بين الحرف الأول والحرف الأخير من الكلمتين دار حول نفسه

وكشف عن مدخل السرداب .

وقال شرلوك هولمز فى برود :

ـ هل أصبت ؟

أجاب ديفان ، وهو يقف ، فى ذهول :

ـ كلا .. كلا . ولكن هذه الحروف التى تتحرك .. وذلك المدخل ..

ـ وبعد ؟ .. أليس ذلك مطابقاً تماماً لتعليق سول ؟

ـ فيم بالله ؟

ـ عجباً ! .. إن حرف ص يدور وحرف الباب يهتز وحرف اللام ينفتح ، وهذا ما سمح لهنرى الرابع أن يستقبل الآنسة دى تانكارفيل فى تلك الساعة المتأخرة من الليل .

سأل دانفيس مشدوهاً :

ـ ولويس السادس عشر .

ـ كان لويس السادس عشر مغرماً بأعمال الحدادة وصناعة الأقفال ، وبحكم هوايته هذه أدرك معنى الأرقام : أى ص، و ب ، ولام .. وهى الحروف الثانى والسادس والثانى عشر .

ـ آه .. حسناً . بدأت أفهم . ولكن إذا كنت أفهم الآن كيفية الخروج من هذه (القاعة فإننى مازلت لا أفهم كيف استطاع لوبين) دخولها ، فهو قد جاءكما كما تعرف من الخارج .

أضاء شرلوك هولمز مصباحه، وتقدم بضع خطوات داخل السرداب وقال :

ـ انظر .. إن نفس الطريقة معدة من الداخل كزنبركات الساعة ، وكل الحروف موجودة فيه بالمقلوب . ولم يكن أمام لوبين إلا أن

يستخدم نفس الطريقة من الداخل .

ـ وما دليلك على ذلك ؟

أجاب هولمز فى شئ من الإعجاب :

ـ دليلى ؟ .. انظر إلى هذه البقعة من الزيت .. لقد توقع أرسين لوبين أن الصدأ بحاجة إلى شئ من الليونة .

ـ إذن فقد كان يعرف مخرج السرداب ؟

ـ كما أعرفه أنا . اتبعنى .

ـ فى السرداب ؟

ـ هل أنت خائف ؟

ـ كلا . ولكن هل أنت واثق من أنك تعرف الطريق ؟

ـ وأنا مغمض العينين .

وهبطا اثنتى عشرة درجة فى البداية ، ثم اثنتى عشرة درجة أخرى ، ثم نفس الدرجات مرتين آخرين ، وأخيرا سلكا طريقاً طويلاً تدل جوانبه على أن يد الإصلاحات والترميمات قد امتدت إليه مراراً ، وأنها ترشح فى بعض أجزائها .. وكانت الأرض رطبة . وقال ديفان وهو لا يشعر بالاطمئنان :

ـ إننا نسير تحت الخندق .

وانتهى الطريق إلى سلم من اثنتى عشرة درجة بعده ثلاثة سلالم كل منها من اثنتى عشرة درجة أيضاً ، أفضت بهما إلى فجوة فى قلب الصخر ، ولم يطل بهما السير ، وتمتم شرلوك هولمز :

ـ ياللشيطان ! .. لاشئ غير جدران عارية .. لقد أصبح الأمر مزعجاً ..

وتمتم ديفان : ماذا لو نعود أدراجنا ، فإننى لا أرى الآن ضرورة لمعرفة أكثر من هذا .. يكفينى أننى عرفت السر .

ولكن عندما رفع الانجليزى رأسه أطلق تنهيدة ارتياح، فقد شاهدا فوق رأسيهما نسخة أخرى من الجهاز الذى فى مدخل السرداب من ناحية القصر، ولم يكن عليه إلا أن يعالج الحروف الثلاثة فتتحول كتلة من الصخر وتدور ، ويظهر فى الناحية الأخرى قبر الدوق رولون وفوقه نفس الحروف البارزة .. أى : قصر تيبر مسنبل ، ويقع فى الكنسية الخربة التى أشار إليها الانجليزى ، وقال هذا هو معنى التعليق السابق ذكره والذى يقول فنمضى إلى السماء ، أى إلى الكنيسة ..

وصاح ديفان وقد أسقط فى يده أمام ذكاء شرلوك هولمز وتوقد ذهنه :

ـ هل هذا ممكن ؟ أكان هذا التعليق بالنسبة لك كافياً لكى تحل اللغز الذى استغلق علينا جميعاً .

قال الانجليزى :

ـ وى ! بل كان عديم الجدوى .. فلاشك أنك تتذكر أن الرسم الموجود فى الكتاب الذى كان بدار الكتب ينتهى يميناً بدائرة ، وشمالاً بصليب صغير ، ولكنه لم يكن ظاهراً جداً ، ويكاد أن يمحى .. وهذا الصليب يعنى بالطبع الكنسية التى نحن فيها الآن .

لم يصدق ديفان المسكين أذنيه وقال :

ـ هذا غريب ، يكاد يكون معجزة . ولكنه مع ذلك بسيط جداً .. كيف لم يفطن أحد إلى ذلك السر ؟

ـ لأن أحداً لم يجمع أبداً بين العناصر الثلاثة أو الأربعة

الضرورية : أى الكتابين والتعليقين . لا أحد غير لوبين وأنا .

احتج ديفان قائلاً :

ـ (ولكن ، وأنا أيضاً ، والخورى جيليس .. كنا نعرف معا ما عرفته أنت ، ومع ذلك..

ابتسم شرلوك هولمز وقال :

ـ مسيو ديفان .. ليس جميع الناس بقادرين على حل الألغاز .

ـ ولكننى أبحث منذ عشر سنين ، وأنت فى عشر دقائق .

ـ ذلك بحكم العادة ، والمهنة .

وخرجنا من الكنيسة . وصاح الانجليزى :

ـ آه .. ها هى ذى سيارة فى انتظارنا .

ـ ولكنها سيارتى .

ـ سيارتك ؟ .. ألم تقل أن سائقك لم يعد ؟

ـ هو ذلك .. وأننى أتساءل .

وتقدما حتى السيارة . وقال ديفان يخاطب السائق :

ـ ادوار .. من الذى أمرك أن تأتى هنا .

أجاب الرجل : إنه مسيو فيلمون .

ـ مسيو فيلمون ؟ .. هل التقيت به ؟

ـ على مقربة من المحطة . وقد قال لى أن آتى إلى الكنيسة .

ـ أن تأتى إلى الكنيسة ؟ ولماذا ؟

ـ لكى انتظرك ياسيدى .. أنت وصديقك .

تبادل ديفان وشرلوك هولمز النظر .. وقال الأول :

ـ انه أدرك أن السر لن يستعصى عليك كثيراً . إنه رجل ظريف .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى المخبر السرى ، فقد راقت له المجاملة ، وقال وهو يهز رأسه : أنه رجل .. ما أن رأيته حتى عرفت قدره على الفور .

ـ إذن فقد رأيته ؟

ـ التقينا منذ قليل .

ـ وكنت تعرف انه هوراس فيلمون ؟ أعنى أرسين لوبين ؟

ـ كلا .. ولكننى لم ألبث أن حدست ذلك . من لكنة تهكم فى صوته.

ـ وتركته يفلت ؟

ـ لعمرى .. نعم . ومع ذلك فقد كان الحظ فى صفى .. كانت هناك فرقة من الجنود تمر .

ـ ياللشيطان ! .. إنك أضعت فرصة لن تعوض .

قال الانجليزى فى ترفع :

ـ هو ذلك .. فعندما يتعلق الأمر بغريم كأرسين لوبين فإن شرلوك هولمز لاينتهز الفرص .. وإنما يخلقها .

ولكن الوقت كان يمر .. ومادام لوبين كان من المجاملة بحيث أرسل إليهما السيارة فقد كان ينبغى أن ينتهزا الفرصة دون تأخير .. جلس ديفان وهولمز فى المقاعد الخلفية الوثيرة .. وانطلق ادوار بالسيارة . ومرت أمامها الحقول والأشجار .. وفجأة استرعت ربطة صغيرة موضوعة فى أحد رفوف السيارة انتباه ديفان فقال :

ـ آه .. ما هذه الربطة ؟ ولمن هى ؟ .. ولكنها لك أنت .

ـ لى أنا ؟

ـ أقرأ .. إلى مسيو شرلوك هولمز من قبل أرسين لوبين .

أخذ الانجليزى الربطة وفكها وأزال الورقتين اللتين تغلفانها . كانت ساعة . وقال فى دهشة مقرونة برنة غضب : آه ..

وقال ديفان : ساعة ؟ . أتكون ؟!

لم يجب الانجليزى ، وعاد ديفان يقول :

ـ كيف ذلك ؟ أهى ساعتك ؟ أيعيد لك أرسين لوبين ساعتك ؟ ولكن إذا كان يعيدها إليك فمعنى ذلك أنه أخذها منك .. أخذ ساعتك ! آه . هذه دعابة جميلة ! أرسين لوبين يختلس ساعة شرلوك هولمز .. ما أغرب هذا ! كلا . هذا صحيح . أرجو أن تلتمس لى العذر ، فالأمر أقوى منى .

وراح يضحك بملء فيه ، غير قادر على أن يتمالك نفسه . وعندما ضحك بما فيه الكفاية قال فى اقتناع : أوه .. انه رجل فى الواقع .

؟ ؟ ؟

لم ينبس الانجليزى بكلمة حتى دييب ، وظل يحدق بعينيه فى الأفق الذى يجرى أمامه . كان صمته مخيفاً ، لايمكن سبره ، وأشد عنفاً من كل غيظ أو غضب . وفى الميناء اكتفى بأن قال فى غير غيظ هذه المرة ، وبلهجة تنم عن قوة إرادته ، ومضاء عزيمته :

ـ نعم . انه رجل ، ورجل سوف يسرنى أن أضع على كتفه هذه السير التى أبسطها إليك يامسيو ديفان . وقلبى يحدثنى أن أرسين لوبين وشرلوك هولمز سوف يلتقيان من جديد فى يوم ما .. نعم ، إن الدنيا ( لاتسعهما سوياً) ، وفى ذلك اليوم .





# لغز الاشارب الأحمر

عندما خرج المفتش العام جانيمار من بيته فى ذلك الصباح ، كعادته ، لكى يمضى إلى إدارة البوليس ، لاحظ السلوك الغريب لرجل يمشى أمامه بطول شارع برجوليز.

كان ذلك الرجل يرتدى ثياباً تدل على فقره ، ويضع فوق رأسه قبعة من القش ، رغم أن اليوم كان من أيام نوفمبر .. وكان ينحنى ، إما لكى يربط رباط حذائه وإما لكى يلتقط عصاه التى تقع من يده ، وإما لأى سبب آخر .. وكان فى كل مرة يخرج من جيبه قشرة برتقال صغيرة ، ويضعها خلسة فوق حافة الرصيف ..

كانت مجرد عادة تدل على الهوس والجنون دون شك ، أو على اللهو الصبيانى لايلتفت إليها أحد أو يهتم بها . ولكن جانيمار كان رجلاً ذكياً ، دقيق الملاحظة ، لاتفوته كبيرة ولاصغيرة ، ولايشعر بالارتياح إلا إذا عرف السبب الخفى وراء كل شئ ، ولهذا تبع الرجل.

ولكن عندما انعطف هذا الأخير إلى شارع جراند أرميه ، وسار على اليمين فاجأه المفتش يتبادل بعض الإشارات مع غلام فى الثانية عشرة من عمره ، يسير على الرصيف المقابل ، بمحاذاة البيوت .

انحنى الرجل ، بعد عشرين خطوة ورفع طرف بنطلونه ، وترك خلفه قشرة برتقال .. وفى نفس هذه اللحظة توقف الغلام ، وبقطعة من الطباشير رسم على البيت الذى يمشى بجواره ، صليباً أبيض فى

قلب دائرة .

واستمر الرجلان فى نزهتهما .. وبعد دقيقة وقفة أخرى ، والتقط الرجل دبوساً وترك قطعة من قشر البرتقال ، وعلى الفور رسم الغلام على الجدار صليباً آخر أحاطه بدائرة بيضاء .

وقال المفتش :

عجباً .. ما الذى يدبره "هذان الزبونان" ..

(صعيد الزبونان) شارع فريدلوند ، واجتازا حى سانت أونوريه دون أن يقع ما يستدعى الانتباه .

ولكن عادت العملية المزدوجة من جديد فى فترات منتظمة وبصورة آلية . وكان واضحاً ، إن الرجل ذا القشور لا يقوم بعمله إلا بعد اختيار البيت الذى يجب الإشارة إليه ، وأن الغلام ، من جهة أخرى لايرسم الصليب على ذلك البيت إلا بعد أن يرى إشارة زميله ، أثار ذلك اهتمام المفتش .

وفى ميدان بوفو تردد الرجل .. ولكن بدا أن نيته قد استقرت ، فرفع طرف بنطلونه ، وأعاده إلى وضعه الأول مرتين ، وعندئذ جلس الغلام على حافة الرصيف المواجه للجندى الذى يقوم بحراسة وزارة الداخلية ، ورسم على الرصيف صليبين أحاطهما بدائرتين .

ونفس العملية فى آخر شارع الاليزيه . ولكن الغلام رسم على الرصيف المواجه كحارس دار الرئاسة ثلاثة صلبان بدلاً من صليبين .

وتمتم جانيمار وهو فى شدة الانفعال : ما معنى هذا ؟ وفكر رغماً عنه فى عدوه اللدود لوبين ، كما كان يفكر فيه فى كل مرة يجد نفسه أمام ظرف غريب .

ولو أنه لم يحكم العقل والتفكير لانقض على "الزبونين"

واستجوبهما .. وكان صاحب القشور قد أشعل سيجارة . واقترب الغلام منه وبين شفتيه هو الآخر عقباً وفى نيته أن يطلب عوداً من الثقاب .

وتبادلا بضع كلمات ، وأسرع الغلام وناوله شيئاً بدا للمفتش العام انه مسدس فى جرابه ، وانحنيا معا فوق ذلك الشئ . ولم يلبث أن تحول الرجل إلى الجدار ورفع يده إلى جيبه وأتى بحركة كررها ست مرات كما لو انه يعمر مسدسه .

وما أن فرغا حتى سلكا شارع سورين ، وتتبعها المفتش العام ، مجازفاً بأن يلفت نظرهما ، يدخلان بيتاً عتيقاً ، كل نوافذه مغلقة ، فيما عدا نوافذ الطابقين الثالث والأخير .

وانطلق خلفهما، وما أن بلغ الطابق الأول حتى ضاعف من سرعته لأنه سمع ضجة فوقه ، كما لو أن هناك من يتشاجر .

وعندما بلغ الطابق الأخير ، كان الباب مفتوحاً فدخل وأصاخ السمع لحظة ، وتناهى إليه صوت عراك فجرى إلى الغرفة التى يبدو أن الصوت يصدر منها ، ولكنه وقف على العتبة مبهوتاً وهو يرى صاحب القشور والغلام ، وكلا منهما ممسكا بمقعد يدق به على الأرض .

وفى هذه اللحظة خرج رجل ثالث من غرفة مجاورة : شاب بين الثامنة والعشرين والثلاثين من العمر، له سالفان عريضان ، وعلى عينيه نظارة ويرتدى سترة مبطنة بالفرو يبدو من مظهره كأنه رجل روسى .. وقال : صباح الخير ياجانيمار .

وتحول إلى الرجل والغلام وخاطبهما قائلاً :

ـ أشكركما ياصديقى ، وأهنئكما على النتيجة التى حصلنا عليها .

وأعطاهما ورقة مالية من فئة الألف فرنك ، ثم دفعهما إلى الخارج وأغلق الباب خلفهما ، وقال يخاطب جانيمار .

معذرة ياصديقى .. كنت بحاجة إليك فى أمر عاجل .

بدت علامات الغضب على جانيمار فقال الرجل :

ـ أبداً ياصديقى .. أنت مخطئ ، فلو أننى كتبت إليك أو اتصلت بك تليفونياً لما أتيت .. أو ربما كنت تأتى ومعك فرقة .. ولكننى أردت أن أراك وحدك. وخطر لى أنه ليس أمامى إلا أن أرسل هذين الشخصين الطيبين للقائك على أن يلقيا قشور البرتقال ويرسما الصلبان، صفوة القول أن يمهدا لك الطريق حتى هنا .. حسناً ، ماذا بك ؟ أنت تبدو مذهولاً.. فما الخبر ؟ لعلك لاتعرفنى .. لوبين .. أرسين لوبين .. فتش فى ذاكرتك .. ألايعيد هذا الاسم إلى ذهنك شيئاً ؟

قال جانيمار وهو يجز على أسنانه : أيها الحيوان !

تكلم ! ودعك من الهذر فإننى على عجب من أمرى ..

قال لوبين :

هو ذلك لنتكلم ، فلايمكن أن نحلم بمكان أكثر هدوءاً من هذا المكان . إنه بيت قديم للدوق روشلو ، ولايقيم فيه أبداً ، ووافق على أن يؤجر لى هذا الطابق وعلى أن أجرى فيه بعض التعديلات . ولدى مساكن أخرى مشابهة فى أماكن كثيرة ، وهى عملية جداً . وهنا ، رغم مظهرى كروسى عظيم الشأن فإننى معروف باسم جان دوبريل ، الوزير السابق . وقد تنكرت فى هذه الهيئة غير المزعجة حتى لا ألفت الأنظار إلى ..

قاطعه جانيمار قائلاً : وفيم يهمنى هذا ؟

ـ هذا سؤال وجيه .. حسناً .. لن يطول الأمر .. يقول : فى ١٧

أكتوبر سنة ١٥٩٩ فى يوم دفئ .. وفى الساعة الواحدة من صباح هذه الليلة كان نوتى يمر بزورقه تحت القنطرة الأخيرة من الكوبرى من ناحية الساحل الشمالى وأنه سمع شيئاً يقع على مقدمة زورقه ألقاه بعضهم من فوق الكوبرى لكى يستقر فى قاع السين دون ريب .. وأسرع كلبه وهو ينبح ، وعندما بلغ النوتى آخر زورقه رأى الكلب يهز بفمه قطعة من جريدة استخدمت فى لف بضعة أشياء . والتقط تلك التى لم تقع فى الماء ، وعاد إلى مكانه وفحصها ، وبدا له الفحص على جانب كبير من الأهمية ، ولما كان ذلك النوتى على علاقة بأحد أصدقائى فقد اتصل به ، وأيقظنى صديقى فى صباح اليوم وأطلعنى على ذلك الأمر والأشياء التى التقطت فى حوزتى الآن . وها هى :

وعرضها عليه .. كان هناك فى البداية بقايا ممزقة من إحدى الصحف ثم محبرة ضخمة من الكريستال ، غطاؤها مربوط بقطعة طويلة من الدوبارة ، وكسرة صغيرة من الزجاج ، ثم علبة من الكرتون الخفيف مكورة ، وأخيراً قطعة من الحرير الأحمر القرمزى منتهية بشرابة من نفس القماش ونفس اللون .

وقال لوبين : هل ترى وثائق الإثبات هذه ؟ إن القضية التى نحن بصددها كان من السهل حلها لو أنه كانت لدينا الأشياء الأخرى التى بعثرها الكلب .. ولكن يبدو لى مع ذلك أننا نستطيع أن نصل إليها بقليل من التفكير والذكاء ، هذا أهم من مزاياك .

لم ينطق جانيمار أية كلمة ، واستطرد لوبين يقول :

ـ أرى أننا متفقان تماماً . وأوجز الأمر فى عبارة أخيرة ، فإن القضية كما ترويها وثائق تدل على أنه فيما بين الساعة التاسعة مساء ومنتصف الليل لقيت فتاة غريبة الأطوار مصرعها بطعنة خنجر ثم خنقا بالضغط على عنقها حتى ماتت ، وأن القاتل رجل أنيق الثياب ،

يضع على عينه مونوكل ، وينتمى إلى عالم السباق أكلت معه الفتاة المذكورة بعض قطع الجاتو وحلوى بالشيكولاته ..

ما رأيك ؟ ألاتهمك هذه الجريمة أيها المفتش ؟ هل تظن أنه محظور علينا ، نحن الأشخاص العاديون ، أن نقوم بالاستنتاجات التى لايبرع فيها إلا رجال البوليس . إنك مخطئ فى ذلك أيها السيد ، فإن لوبين بارع فى فن الاستنتاج براعة مخبرى الروايات البوليسية . وأدلتى ؟ .. هى أدلة دامغة وصبيانية فى نفس الوقت ..

واستطرد وهو يشير إلى الأشياء الموضوعة فوق المنضدة، واحداً، واحداً : مساء أمس إذن ، بعد الساعة التاسعة .. وهذه القطعة من الجريدة تحمل تاريخ الأمس وعبارة "المطبعة المسائية" ثم إنك تستطيع أن ترى فوقها قطعة شريط من الورق من تلك الشرائط التى تلصق بالجريدة لإرسالها إلى المشتركين . وتلك الجرائد لاتصل إلى أصحابها عادة إلا فى بريد الساعة التاسعة . ومن هذا يتضح أن رجلاً أنيقاً ، وأرجو أن تلاحظ إن كسرة الزجاج التى تراها يظهر فى أحد أطرافها الثقب المستدير لمونوكل ، والمونوكل أداة ارستقراطية كما تعرف . أعود فأقول إن رجلاً أنيقاً دخل محلاً للحلوى (وهذه هى الكرتونة الخفيفة على شكل علبه ولايزال عالقاً بها قليل من الكريمة التى تستخدم فى تزيين الجاتو والكعك) ويمضى السيد ذو المونوكل ومعه علبة الجاتو ، ويلتقى بالفتاة التى يدل الايشارب الأحمر القرمزى على غرابة أطوارها . وإذ التقى بها يطعنها بالخنجر لأسباب غير معروفة ثم يخنقها بالايشارب الحريرى . خذ عدستك أيها المفتش ، وسوف ترى على الحرير علامات يد دامية تتشبث بالقماش . وبعد أن ارتكب جريمته مسح الخنجر بالاشارب ثم أخرج من جيبه أولاً الجريدة المشترك فيها ، والتى تدل هذه القطعة الممزقة منها على أنها جريدة من جرائد المساء من السباق من السهل معرفة اسمها ، وثانياً

هذه الدوبارة وهى من نوع مميز يستخدم فى السباق، وهاتان نقطتان يؤكدان لك أن صاحبنا يهتم بالسباق ويهتم بنفسه بالجياد . ولكى لا يترك خلفه أى أثر، بجمع شظايا مونوكله الذى تحطم أثناء العراك ، ويقص بالمقص الجزء الملوث بالدم من الاشارب (وانظر إلى حزات المقص) ويترك الجزء الآخر بين يدى القتيلة المتوترين ، ويكور علبة الجاتو ، ويضع كذلك بعض الأشياء التى تدينه والتى وقعت بعد ذلك فى نهر السين ، كالخنجر. ويلف الجميع فى الجريدة ويربطها فى المحبرة الكريستال لكى تكون ثقلاً ثم يولى الأدبار. ولكن الربطة تقع على حافة الزورق، وهكذا ينتهى كل شئ. فما رأيك فى هذه المغامرة ؟

وتأمل لوبين جانيمار لكى يرى وقع حديثه عليه . ولكن هذا الأخير لم يتزحزح عن صمته ، فراح لوبين يضحك ثم قال : الواقع إنك مندهش ، ولعلك مستريب .. فلماذا يقدم لى هذا الشيطان لوبين تلك القضية بدلاً أن يستأثر بها لنفسه ، المسألة منطقية طبعاً .. فالوقت لايسعفنى الآن ، سطو فى لندن وآخر فى لوزان وفتاة اختطفت يجب أن أنقذها ويجب أن اهتم بكل ذلك فى وقت واحد .. وعندئذ قلت لنفسى : وماذا لو عهدت بهذه القضية إلى صديقى الطبيب جانيمار .. إننى جلوت نصف أسرارها تقريباً .. وهو جدير بأن ينجح .. ثم أعددت الخطة لاستدراجك إلى هنا .

ولكن لاتزال هناك نقطة واحدة .. وهى أن قصتى انتهت ، وسوف تعرف أنت القتيلة قريباً ، وهى إما راقصة فى كباريه أو مطربة فى ملهى .. ومن ناحية أخرى ، هناك فرص كبيرة فى أن يكون القاتل من المقيمين بجوار كوبرى نوف ، والأحرى، على الضفة اليسرى منه .. وفى جميع الحالات ، إليك وثائق الإثبات ، وإننى أهديها إليك ، ولا أحتفظ إلابنصف الاشارب هذا ، وإذا احتجت إليه لكى تجمع النصفين فاحضر إلى النصف الآخر ، ذلك الذى سيعثر عليه رجال

البوليس حول عنق القتيلة. إحضره إلى بعد شهر، إبتداء من اليوم ، أى فى الثامن والعشرين من ديسمبر المقبل ، فى الساعة العاشرة ، وكن على يقين من إنك سوف تجدنى . واطمئن ، فهذا الحديث خطير وجدى ياصديقى الطيب . وأقسم لك على ذلك ، فلست أسخر منك .. ويمكنك أن تحصل على ترقية آه ، وبهذه المناسبة ، إليك نقطة هامة .. عندما تلقى القبض على الرجل ذى المونوكل فكن على حذر ، فإنه أعسر .. وداعاً ياصاحبى .. وأرجو لك التوفيق .

وانحنى لوبين أمامه مرة أخرى ، ومضى إلى الباب وفتحه ، واختفى قبل أن يخطر لجانيمار اتخاذ أى قرار . على أنه سرعان ما وثب نحو الباب ، ولكنه لم يلبث أن تأكد أن أكرة الباب لاتدور ، وقضى بضع دقائق حتى يفتح الباب كان لوبين متهرب خلالها .

بدت له على الخصوص قصة هذا الاشارب الأحمر غامضة جداً ، وعلى جانب من الأهمية فى نفس الوقت ، ولكنها بدت له ، من ناحية أخرى ، غير معقولة تماماً ، كما بدا له أن تفسير لوبين المنطقى ، فى ظاهره ، لايصمد كثيراً أمام فحص دقيق .

قال يحدث نفسه :

كلا .. كل هذه خدع .. مجرد افتراضات ونظريات لاتستند إلى شئ، ولن تجوز على .

ولما وصل إلى ادارة الأمن فقال له أحد زملائه :

- سأل عنك الرئيس منذ قليل وهو يريدك حالاً .

- فى شارع دى بيرن ، حيث ارتكبت جريمة القتل .

- آه . ومن القتيل ؟

- لا أدرى بالتأكيد .. مغنية فى ملهى ليلى على ما أعتقد .

تمتم جانيمار ببساطة : هذا غريب !

ثم اتجه إلى العنوان .

كانت القتيلة مشهورة فى دنيا المسارح باسم جينى الياقوتة ، وتقيم فى مسكن متواضع فى الطابق الثانى .. واصطحب أحد رجال الشرطة جانيمار ، واجتاز هذا الأخير غرفتين ثم دخل غرفة ثالثة وجد فيها قضاة التحقيق ورئيس البوليس ، مسيو ديروا والطبيب الشرعى .

أجفل جانيمار عند أول نظرة ، فقد رأى جثة إمرأة شابة طريحة فوق أريكة ، ويداها متوترتان فى قطعة من إشارب حريرى أحمر اللون وبكتفها الذى يظهر من القميص الممزق جرحان تجمد الدم حولهما ، ووجهها المتشنج قد اسود تقريباً ، ولاتزال ملامحها تحتفظ بهلع جنونى .

وقال الطبيب الشرعى ، بعد أن انتهى من فحصه : النتائج الأولى واضحة تماماً .. طعن القاتل القتيلة طعنتين بخنجره فى البداية ثم خنقها بعد ذلك .. والموت خنقاً واضح .

قال جانيمار فى نفسه من جديد وهو يتذكر كلمات لوبين وقصته عن الجريمة : هذا غريب !

وقال أحد قضاة التحقيق معترضاً : ومع ذلك فليس بالعنق أية سحجات .

قال الطبيب : لقد تم الخنق بذلك الاشارب الحريرى الذى تتشبث القتيلة بجزء منه وهى تدافع عن نفسها ..

قال القاضى : ولكن لماذا لايوجد غير هذا الجزء من الاشارب . أين بقيته ؟

ـ لاريب إنه تلوث بالدم وأخذه القاتل فمن الواضح أنه قد قطعه باستخدام المقص .

عاد جانيمار يقول للمرة الثالثة : هذا غريب .. غريب جداً .. لقد رأى لوبين كل شئ رغم أنه لم يكن موجوداً .

وسأل القاضى : وسبب الجريمة .. أن الأقفال محطمة والدواليب تبعثرت محتوياتها .. هل لديك أية معلومات يامسيو ديدروا ؟

أجاب رئيس البوليس : أستطيع أن أقدم نظرية على الأقل ، استناداً إلى أقوال خادمة القتيلة ، فموهبتها فى الغناء متوسطة ، ولكنها اشتهرت بجمالها الفائق . وقد قامت منذ سنتين برحلة إلى روسيا ، عادت منها ومعها ياقوتة نفيسة أهداها إياها ، كما يبدو ، رجل من البلاط ، وقد اشتهرت بسبب تلك الياقوتة الرائعة باسم جينى الياقوتة ، وكانت جد فخورة بتلك الهدية رغم أنها لم تكن تتزين بها ، وذلك بدافع الحرص، والمفروض أن سبب الجريمة هو سرقة الياقوتة .

ـ ولا أحد يعرف اين الياقوتة .. والفوضى السائدة فى الغرفة تؤكد أن القاتل لم يكن يعرف مكانها هو الآخر .

قال قاضى التحقيق : سوف نستجوب الخادمة .

أخذ رئيس البوليس المفتش العام على حدة وقال له :

ـ إن أمرك غريب جداً ياجانيمار، فما الخبر ؟ هل تشتبه فى أحد ؟

ـ أبدا أيها الرئيس .

ـ سحقا .. إننا بحاجة إلى معجزة فى إدارة البوليس لأن جرائم كثيرة من هذا النوع ظلت مستغلقة ، لم نهتد فيها إلى القاتل .. ونحن بحاجة هذه المرة إلى الفاعل ، وبأسرع ما يمكن .

ـ هذا أمر صعب تحقيقه أيها الرئيس .

ـ بل لابد من ذلك .. أصغ إلى يا جانيمار . طبقاً لأقوال الخادمة ، فإن جينى الياقوتة ، وتستقبل الكثيرين ، بعد عودتها من المسرح ، رجلاً يمكث لديها حتى منتصف الليل تقريباً .. وكانت جينى تزعم أنه من رجال المجتمع ، وأنه يريد أن يتزوجها .. ولكن ذلك الرجل كان يتخذ كل الاحتياطات لكى لايراه أحد ، فيرفع ياقته حتى نصف وجهه ، ويخفض حافة قبعته عندما يمر أمام غرفة البوابة .. وكانت جينى الياقوتة تبعد خادمتها قبل قدومه .. وهذا الرجل هو الذى يجب أن نهتدى إليه رغم انه لم يترك أثر .. يبدو انه خصم لايستهان به وهذا دورك ياجانيمار .

أجاب المفتش العام :

ـ قال جانيمار آه ... نعم أيها الرئيس ؟ .. ولكن .

وبدا عصبياً جداً ، وأثار اضطرابه دهشة مسيو ديروا .

عندما خرج .. قال فى غضب شديد :

ـ ولكننى أقسم بالله على أننى سوف أقبض على القاتل بوسائلى الخاصة ، ومن غير أن استخدم أية معلومة من تلك المعلومات التى زودنى بها ذلك الشقى . آه .. كلا .. ولكن ..

وراح يسب لوبين ويلعنه وقد تملكه الغضب لاشتراكه فى هذه القضية ، واستقر عزمه مع ذلك على أن يجلو غوامضها ، وراح يمشى فى الشوارع كيفما اتفق وذهنه مشغول ، محاولاً أن ينظم أفكاره ، وأن يكتشف بين الحقائق المبعثرة نقطة صغيرة خافية عن الجميع ، لم يشتبه فيها لوبين ، قد تقوده إلى النجاح .

وتناول غداءه سريعاً فى أحد المطاعم ، ثم تابع سيره على الفور ، مشدوها ومرتبكا .. ودخل بيت شارع سورين ، نفس البيت الذى اجتذبه إليه أرسين لوبين قبل ذلك بساعات .. قادته إليه من جديد قوة

أكبر بكثير من أرادته ، فهنا ، فى هذا البيت، توجد عناصر الحقيقة . ومهما تكن مزاعم أرسين لوبين فهى مضبوطة ، وحساباته صحيحة ، بحيث أنه اضطرب فى أعماقه بمثل ذلك التخمين الدقيق ، ولم يسعه إلا أن يبدأ القصة من نفس النقطة التى سبق أن تركها فيها .

وبدون أى تردد صعد الطوابق الثلاثة . وكان المسكن مفتوحاً ، ولم يلمس أحد وثائق الإثبات ، قدمها فى جيبه .

ومنذ ذلك الوقت ، فكر وتصرف بطريقة آلية ، إذا جاز لنا القول ، متأثرا بحديث الأستاذ الذى لم يسعه إلا أن يطيعه .

فعلى فرض أن الرجل يقيم فى نواحى كوبرى نوف فقد كان لابد له أن يجد ، فى الطريق الذى يؤدى من ذلك الكوبرى إلى شارع دى بيرن محل الحلوى الذى يظل مفتوحاً ليلاً والذى اشترى منه القاتل الحلوى . ولم يطل بحثه فقد وجد محلاً للحلوى بجوار محطة سان لازار ، رأى عنده علباً مشابهة للعلبة المهشمة التى فى جيبه . وفضلاً عن ذلك ، تذكرت إحدى البائعات أنها باعت مساء الأمس بعض الحلوى لسيد يخفى رقبته بياقة معطفه الفرو ، وأنها لمحت مونوكلاً على عينه .

وقال جانيمار يحدث نفسه : هاأنذا قد تحققت من أول دليل ، فإن رجلاً يضع على عينه مونوكلا يقيم فى الناحية ..

وجمع بعد ذلك قصاصات جريدة السباق وعرضها على بائع جرائد عرف فيها بسهولة جريدة الثورة المصورة . فمضى على الفور إلى مكتب الجريدة المذكورة وطلب قائمة المشتركين ، ورأى فيها أسماء وعناوين جميع الذين يقيمون بجوار الكوبرى ، وعلى الخصوص ، فى (الناحية اليسرى منه) مادام لوبين قد أكد له ذلك .

بعد أن زودهم بالتعليمات الضرورية ..

وعاد آخر هؤلاء الرجال فى الساعة السابعة وأنبأه بالخبر السار ، فقال أن رجلاً يدعى بريفاى ، مشترك فى الجريدة ، ويقيم فى طابق مسروق على رصيف اوجتينى ، وأنه خرج من بيته مساء الأمس مرتدياً معطفاً من الفرو ، وتلقى من البوابة الرسائل التى وصلت باسمه وجريدة الثورة ، وانه عاد إلى بيته فى نحو منتصف الليل .

وقال أن ذلك المدعو بريفاى يضع على عينه مونوكولا ، وأنه من مرتادى أندية السباق ، ويملك جيادا كثيرة يمتطيها ويؤجرها .

كان التحقيق سريعاً جداً . وجاءت النتائج مطابقة لاستنتاجات لوبين ، وقاس مرة أخرى أهمية المعلومات العجيبة التى زوده بها لوبين . لم يلتق طوال حياته الحافلة بمثل تلك البصيرة أبداً ولا بمثل هذا الذهن الحاد والثاقب .

ومضى إلى مسيو ديروا وقال له :

ـ انتهى كل شئ أيها الرئيس . هل معك أمر بإلقاء القبض ؟

ـ ماذا تقول ؟ هل عرفت القاتل ؟ كيف ؟ تكلم ؟

ـ أحس جانيمار بضميره يبكته ، واصطبغ وجهه قليلاً ، ولكنه أجاب مع ذلك : هى الصدفة وحدها أيها الرئيس ، فقد ألقى القاتل كل ما يمكن أن يدينه فى نهر السين ، وتمكن أحدهم من التقاط جزء من الربطة التى ألقاها القاتل ، وجاءنى بها .

ـ ومن هو ؟

ـ نوتى لم يشأ أن يذكر اسمه مخافة تعرضه للانتقام بلاشك . ولكن معه كل الأدلة الضرورية ، وكان العمل سهلاً .

وروى المفتش كيف تصرف . وهتف مسيو ديروا : وتقول إن الأمر

صدفة ، وإن العمل كان سهلاً ! ولكن هذه القضية من أجمل القضايا التى اضطلعت بها ، فامض إلى النهاية ياعزيزى جانيمار ، وتوخ الحذر .

أراد جانيمار أن ينتهى من هذه المهمة بأسرع ما يكون فمضى إلى رصيف أوجستين وبرفقته بعض رجاله ووزعهم حول البيت . وبسؤال البوابة قال أن الساكن يتناول عشاءه فى الخارج ، وانه يعود بانتظام بعد العشاء على الفور .

والواقع أنه قبل الساعة التاسعة بقليل ، قالت البوابة . وكانت تنظر من النافذة .. إن الساكن فى طريقة إلى البيت ، فأطلق جانيمار صفيراً خافتاً من صفارته فقد كان هناك رجلاً مقبلاً ناحيته ، يرتدى قبعة عالية ويتدثر بمعطف من الفرو، وعبر الشارع وتقدم نحو البيت .

وتقدم جانيمار منه وقال : مسيو بريفاى ؟

ـ نعم . أنا هو . ولكن من أنت ؟

ـ إننى مكلف بمهمة .

ولم يجد جانيمار الوقت لإتمام عبارته ، فما أن رأى الرجل الرجال يبرزون من جوف الظلام حتى ارتد مسرعاً نحو الجدار، وواجه غرماءه ، مستنداً إلى باب محل مغلق فى الطابق الأرضى وصاح :

ـ تراجعوا إلى الخلف .. إننى لا أعرفكم .

وشهر عصا غليظة فى يده ، بينما دس يده اليسرى خلف ظهره ، وبدا أنه يحاول أن يفتح الباب .

وخيل إلى جانيمار انه سيستطيع الهرب من ذلك الباب ، أو من أى منفذ آخر سرى فقال وهو يدنو منه :

ـ لاداعى للمراوغة . إنك وقعت ، فسلم نفسك .

ولكنه ما أن أمسك بعصا بريفاى حتى تذكر تحذير لوبين له ، فإن بريفاى أعسر وكان يحاول أن يخرج مسدسه .

وأسرع جانيمار بالانحناء وهو يرى حركة الرجل المفاجئة . ودوى طلقان ناريان لم يصيبا أحدا ..

وما هى إلا لحظات حتى تلقى بريفاى ضربة من قبضة مسدس على ذقنه صرعته على الفور ، وفى تمام الساعة التاسعة زج به فى السجن .

؟ ؟ ؟

كان جانيمار فى ذلك الوقت يتمتع بشهرة كبيرة . وجلب له إلقاء القبض على بريفاى ، بتلك السرعة الغريبة ، وتلك الوسائل البسيطة التى أسرع البوليس بإطلاع الصحف عليها شهرة فوق شهرته . واتهم بريفاى على الفور بكل الجرائم التى ظلت مستغلقة حتى ذلك اليوم ، وأشادت الجرائد بانتصارات جانيمار .

تبين أن بريفاى ، واسمه الحقيقى توماس ديروك ، من أرباب السوابق ، وإذا كان التفتيش الذى قاموا به فى بيته لم يسفر عن شئ فقد أدى مع ذلك إلى اكتشاف دوبارة من نفس الدوبارة التى استعملت فى ربط الربطة التى ألقيت فى نهر السين ، واكتشاف خناجر تحدث جروحاً كتلك التى أصابت القتيلة .

ولكن تغير كل شئ فى اليوم الثامن ، فإن بريفاى ، وكان قد رفض الإجابة على أى سؤال حتى ذلك اليوم ، وجاء محاميه فاعترض على إلقاء القبض عليه قائلاً إن بريفاى كان فى مسرح الفولى برجير ليلة الجريمة ، والواقع أنهم وجدوا فى جيب سترته الاسموكنج كعب تذكرة وبرنامجاً خاصاً بتلك الليلة . واعترض قاضى التحقيق وقال أن ذلك الدليل أعد مسبقاً .

وأجابه بريفاى : أثبت ذلك .

وأجريت مواجهات ، وقالت البائعة فى محل الحلوى أنها تظن أنه صاحب المونوكل، وقال بواب شارع دى بيرن إنه يظن أنه السيد الذى كان يزور جينى الياقوتة ، ولكن لم يجرؤ أحد على إثبات أكثر من ذلك

وهكذا لم يجد قاضى التحقيق شيئاً ثابتاً يمكنه من إقامة الدليل على اتهامه ، واستدعى جانيمار ، وأطلعه على حيرته وقال :

ـ لا أستطيع الاستمرار أكثر من ذلك !

ـ ومع ذلك فأنت واثق من أنه ياسيدى القاضى .. فلو أنه برئ لاستسلم بكل سهولة .

ـ انه يزعم أنه اعتقد أنكم أناس غرباء تهاجمونه ، بل انه يتمادى ويزعم أنه لم ير جينى الياقوتة أبداً . والحقيقة أننا لانجد شخصاً يكذبه ، والأكثر من هذا أننا لم نعثر على الياقوتة فى بيته .

قال جانيمار معترضاً : ولم نعثر عليها فى أى مكان آخر .

ـ هذا صحيح .. ولكن هذا شئ لايدينه .. هل تعرف ماذا يلزمنا يامسيو جانيمار ؟ يلزمنا قبل كل شئ النصف الآخر من الاشارب الأحمر .

ـ النصف الناقص ؟

ـ نعم ، لأن من الواضح أن القاتل أخذه لأنه يحمل بصمات أصابعه الدامية .

لم يجب جانيمار . كان يشعر منذ أيام كثيرة أن كل القضية تتجه إلى هذا الاتجاه ، فلم يكن هناك دليل آخر محتمل ، فبالاشارب ، وبالاشارب وحده ، كان يمكن إثبات الجريمة على بريفاى ، وموقف بريفاى كان فى حاجة ماسة إلى ذلك الإثبات ، فهو المسئول عن (إلقاء

القبض عليه) وقد أشادت الجرائد بعبقريته وبعدائه الشديد للمجرمين والأشقياء ، وإذا أطلق سراح بريفاى فلن يلق بعد ذلك إلا كل سخرية وهزؤ ..

ولكن لسوء الحظ فإن الدليل الوحيد والذى لامناص عنه موجود فى جيب لوبين فكيف يستعيده منه ؟

بحث جانيمار وأرهق نفسه فى تحقيقات جديدة وأعاد النظر فى القضية وقضى أياماً طويلة فى التقصى والتحرى ومحاولة معرفة سر شارع دى بيرن . وفتش كل كبيرة وصغيرة فى حياة بريفاى ، وجند عشرة رجال للعثور على الياقوتة المختفية ، ولكن ذهب كل ذلك هباء .

وفى اليوم السابع والعشرين من ديسمبر التقى به قاضى التحقيق فى أورقة إدارة البوليس ، وسأله هذا الأخير قائلاً :

ـ حسناً ياجانيمار ؟ هل من جديد ؟

ـ كلا ياسيدى القاضى .

ـ فى هذه الحالة سأتخلى عن القضية .

ـ انتظر يوماً آخر .

ـ لماذا ؟ هل معك النصف الآخر من الاشارب ؟

ـ سيكون معى غداً .

ـ غداً ؟

ـ نعم . ولكن يلزمنى النصف الذى معك .

ـ وماذا ستصنع به ؟

ـ أعدك بأن آتيك بالاشارب مكتملاً غداً .

ـ اتفقنا .

ودخل جانيمار مكتب قاضى التحقيق ، وخرج منه بعد لحظة ومعه النصف المقطوع من الاشارب الحريرى . وقال متذمراً يحدث نفسه :

ـ نعم . سأمضى وأبحث عن الدليل ، وسأعثر عليه ، ذلك إذا جرؤ مسيو لوبين وحضر فى الموعد .

والواقع إنه لم يكن لديه أى شك فى ذلك . فقد كان يعرف عنه أنه لايخاف شيئاً . وكان هذا ما يثير استياءه بالذات . ولكن لماذا أراده لوبين فى ذلك الموعد ، وما هى الغاية التى يسعى إليها .

كان شديد القلق وشديد الغضب والحقد . واستقرت نيته على اتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لكى لايقع هو نفسه فى الفخ فحسب ، وإنما لكى يوقع لوبين نفسه فى الفخ . وفى صباح اليوم التالى ، وهو اليوم الثامن والعشرين من ديسمبر ، الذى حدده لوبين للقائه ، مضى إلى البيت القديم بشارع مورين ، بعد أن عاينه طوال الليل ، واقتنع تماماً بأنه لامنفذ له إلا الباب العمومى ، وبعد أن أبلغ رجاله بأنه سيقوم بحملة خطرة . ووصل إلى ميدان المعركة معهم .

أجلسهم فى مقهى أمام البيت ، وزودهم بأوامر صارمة : إذا ظهر فى إحدى نوافذ الطابق الثالث ، أو إذا لم يعد بعد ساعة ، فعليهم أن يقتحموا البيت ، وأن يلقوا القبض على أى شخص يحاول الخروج منه .

وبعد أن تأكد من صلاحية مسدسه ، ومن استطاعته إخراجه من جيبه بسهولة صعد .

وما كانت أشد دهشته حيث وجد الأمور كما تركها .. أى ان الأبواب كانت مفتوحة والأقفال محطمة .. وإذ تحقق من أن نوافذ الغرفة الرئيسية تطل على الشارع فحص الغرف الثلاث الأخرى التى يتكون منها المسكن . لم يكن فيها أحد . وتمتم فى شئ من الارتياح .

ـ لقد استولى الخوف على لوبين .

قال صوت خلفه : أنت غبى !

استدار على عقبيه ، ورأى بعتبة الباب عاملاً عجوزاً يرتدى زى الدهانين ، وتكلم هذا الأخير فقال :

ـ لا تبحث . أنا هو .. لوبين . إننى أعمل منذ الصباح مع مقاول البويات .. ولما كانت هذه ساعة تناول الطعام فقد صعدت .

كان ينظر إلى جانيمار وهو يبتسم فى مرح وهتف :

ـ الحق أن هذه دقيقة رائعة أدين لك بها ياصديقى لن أبيعها من أجل عشر سنوات من عمرك . ومع ذلك فاننى أحبك جداً . فما رأيك الآن . ألم يكن الأمر مرتباً ؟ ومتوقعاً ؟ متوقعاً من الألف إلى الياء . ألم أحل لك القضية من أولها إلى آخرها . ألم أدلك على سر الاشارب رغم أنه كانت هناك بعض الفجوات فى هذه الجريمة ، ورغم نقص بعض الحلقات إلا أننى جلوت لك غموضها وأسرارها . أليس ذلك منتهى الذكاء ياجانيمار ؟ ألم اكشف لك كل شئ (.. ما حدث من قبل وما سوف يقع بعد اكتشاف) الجريمة حتى مجيئك هنا بحثاً عن دليل .. ألم يكن استنتاجى رائعاً ؟ .. هل معك الاشارب ؟

ـ نصفه ، نعم . هل معك النصف الآخر ؟

ـ هاهو . لنطابق بينهما الآن .

ونشر نصفى الاشارب فوق المنضدة . تطابقت الحزازات التى نتجت عن المقص ، كما تطابق لونهما . وقال لوبين :

ـ ولكننى أعتقد أنك لم تأت لهذا السبب فحسب ، فإن ما يهمك هو أن ترى آثار الدم . اتبعنى ياجانيمار كان النور هنا غير كاف .

ومضيا إلى الغرفة المجاورة المطلة على الحوش ، وكانت أكثر نوراً

فى الواقع ، وألصق لوبين الاشارب على (لوح الزجاج ، وقال) وهو يفسح المكان لجانيمار :

ـ أنظر .

اهتز المفتش من فرط الفرح، فقد رأى فى وضوح تام أثر الأصابع الخمسة ، وبصمة الكف . وكان ذلك دليلاً حاسماً لا يمكن نقضه ، فإن القاتل ، أمسك بيده الدامية التى طعنت جينى الياقوتة الاشارب وعقده حول عنقها .

وقال لوبين : وهى بصمة يد يسرى . وهذا سبب تحذيرى لك ، وليس فى الأمر معجزة ، كما ترى لأننى إذا رضيت أن تعتبرنى رجلاً خارقاً ياصديقى العزيز فإننى لا أريد أن تعاملنى مع ذلك كما لو كنت ساحراً .

أسرع جانيمار ووضع نصف الاشارب فى جيبه بخفة ، فقال لوبين فى استحسان : نعم ياصديقى العزيز ، انه لك . ويسرنى جداً أن أراك مسروراً .. وها أنت ترى أننى لم أنصب لك أى فخ . لاشئ إلا إسداء خدمك لك . خدمة من زميل لزميل ، ومن رفيق لرفيق . واعترف لك أيضاً أننى كنت أشعر بشئ من الفضول .. نعم ، كنت أريد أن أفحص النصف الآخر .. ذلك الذى مع البوليس .. لاتخف .. لاتخف . سأرده إليك .. ولكن لحظة واحدة فحسب .

وفى شئ من عدم الاكتراث ، وبينما كان جانيمار يصغى إليه رغماً عنه، راح يلهو (بالشرابة التى ينتهى بها النصف الآخر من) الاشارب الحريرى .

ـ ما أبرع تلك الأعمال الصغيرة التى تقوم بها السيدات .. هل لاحظت هذه النقطة أثناء التحقيق ؟ كانت جينى الياقوتة ماهرة جداً فى أعمال الحياكة والتطريز .. وكانت تصنع قبعاتها وفساتينها

بنفسها .. وواضح إن هذا الاشارب من صنعها هو الآخر . ومهما يكن فقد أدركت ذلك من أول يوم .. وأنا رجل فضولى (بطبعى كما سبق) إن ذكرت لك .. وقد فحصت بكل عناية النصف الذى وضعته أنت فى جيبك ، واكتشفت داخل الشرابة التى ينتهى بها ميدالية صغيرة لإحدى القديسات صنعتها المسكينة لكى تجلب لها الحظ ، وهذه نقطة مؤثرة ، أليس كذلك ياجانيمار ؟ ميدالية لإحدى القديسات !

لم يفارقه المفتش العام بعينيه ، وازدادت حيرته . استطرد لوبين :

"وقلت لنفسى عندئذ : أن من الأهمية بمكان أن أفحص النصف الآخر من الاشارب، ذلك الذى سيعثر عليه البوليس حول عنق القتيلة ، لأنه لابد أن ينتهى هو الآخر بشرابة مشابهة ، بحيث أننى سأعرف الآن إن كان نفس المخبأ موجود ، وماذا سأجد فيه . أرأيت البراعة التى حيكت بها هذه الشرابة ؟ إن المسكينة غزلت بعض الخيوط حول قطعة من زيتونة مجوفة بحيث أحدثت فجوة صغيرة تكفى لكى تضع ميدالية أخرى أو شيئاً آخر . جوهرة مثلاً .. ياقوتة !

وفى نفس اللحظة كان قد فرغ من إبعاد الخيوط بعضها عن بعض كاشفاً عن تجويف ، وأمسك بين إبهامه وسبابته حجراً رائعاً أزرق اللون .. آه .. ما رأيك فى هذا أيها الصديق ؟

ورفع رأسه .. وامتقع جانيمار وجحظت عيناه وبدا مذهولاً ، مفتوناً بالحجر الذى يبرق أمام عينيه ، وفهم أخيراً كل الخدعة . وصاح وقد وجد سبته التى نطق بها فى أول لقاء لهما :

ـ أيها الحيوان !

ووقف الرجلان ، أحدهما أمام الآخر ، وصاح المفتش :

ـ اعطنى هذا .

ناوله لوبين نصف الاشارب ، ولكن جانيمار صاح به :

ـ والياقوتة ؟

ـ هل أنت غبى ؟

ـ أعدها إلى وإلا .

صاح لوبين : وإلا ماذا أيها الغبى ؟ آه .. ولكن ، هل تتصور أننى أهديتك هذه القضية حباً فى سواد عينيك ؟

ـ أعدها إلى .

ـ أما نظرت إلى ! .. منذ أربعة أسابيع وأنا أقودك كما أريد ، وتريد الآن .. ولكن أبذل مجهوداً صغيراً ياصديقى العزيز جانيمار .. افهم أنك لست ، منذ أربعة أسابيع إلا الكلب الصغير (المطيع الذى يأتى لسيده) بالصيد الذى اصطاده .. وأنت الآن قد أتيتنى بما كنت أريد .

كظم جانيمار الغضب الذى يعصف بكيانه ، ولم يعد يفكر إلا فى استدعاء رجاله . ولما كانت الغرفة لاتطل إلا على الفناء ، فقد حاول ، بحركة دائرية ، وشيئاً فشيئاً أن يقترب من الباب ، وفى نيته أن يثب فجأة إلى النافذة وأن يحطم أحد ألواحها . واستطرد لوبين يقول :

ـ لابد أن تعض أنت والآخرون أصابعكم من فرط الندم على كل حال ، فقد بقى نصف الاشارب معكم طوال هذه المدة ولم يخطر لأحدكم أن يحاول أن يفهم لماذا تشبثت المرأة الشابة المسكينة بذلك الاشارب .. لم يخطر ذلك لأحد ، ورحتم تتخبطون صدفة وإتفاقاً من غير تفكير أو توقع أى شئ .

بلغ المفتش مراده ، وانتهز فرصة ابتعاد لوبين عنه واستدار فجأة وأمسك باكرة الباب ، ولكن لم يلبث أن أفلتت من بين شفتيه سبة لأن

الاكرة لم تتحرك .

وضحك لوبين وقال :

- ولم يخطر لك حتى هذا .. لم تتوقع ذلك ! إنك نصبت لى فخاً وأنت تعتقد أننى لم أستطيع أن أشعر بذلك مسبقاً ، وأتيت إلى هذه الغرفة دون أن تسأل نفسك إن لم أكن أجتذبك إليها عمداً ، ناسياً أن الأقفال مزودة بآلات خاصة . ولكن لنر الآن ، بكل إخلاص .. ما رأيك فى كل هذا ؟

صاح جانيمار وهو لايتمالك نفسه :

- رأيى ؟

وأسرع فأخرج مسدسه من جيبه وصوبه إلى وجه لوبين وقال :

- ارفع يديك .

توقف لوبين عن الحديث وهز كتفيه وقال :

- ها أنت تخطئ مرة أخرى .

- أقول لك أرفع يديك .

- وأنا أقول لك أنك تخطئ مرة أخرى .. إن مسدسك لن ينطلق .

- ماذا ؟

- إن المرأة التى تدير شئون بيتك ، وأعنى بها تلك العجوز كاترين فى خدمتى .. وقد بللت رصاصاتك صباح اليوم بالذات وأنت تحتسى قهوتك .

أتى جانيمار بحركة غضب ودس المسدس فى جيبه وارتمى على لوبين ، فقال هذا الأخير وهو يوقفه على الفور بركلة من قدمه فوق ساقيه : وبعد ؟

تلامست ثيابهما تقريباً .. ونظر كل منهما إلى الآخر متحدياً كخصمين يتأهبان للاشتباك بالأيدى .

ورغم ذلك فلم تقع المعركة ، فإن ذكرى المعارك السابقة أثبتت أن المعركة لاجدوى منها ، وتذكر جانيمار كل هزائمه السابقة وكل معاركه وهجمات لوبين الصاعقة ، فلم يتحرك .. لم يكن هناك ما يفعله أحس بذلك لأن لوبين يملك قوة تتحطم فوقها كل القوى ، فما الجدوى إذن ؟

؟ ؟ ؟

وقال لوبين فى لهجة كلها ود :

ـ أليس كذلك ؟ من الأوفق أن لانتمادى إلى أكثر من هذا . ثم عليك أن تفكر جيداً أيها الصديق العزيز فى كل ما جنيته من هذه المغامرة .. المجد واليقين بترقية مقبلة سوف تقضى بفضلها شيخوخة سعيدة .. وما أحسبك تريد مع ذلك أن تضيف إليها اكتشاف الياقوتة ورأس لوبين المسكين ، فإن ذلك لن يكون عدلاً ، مع إن هذا المسكين لوبين قد أنقذ حياتك . نعم أيها السيد .. فمن الذى حذرك بالذات من أن بريفاى أعسر ؟ أو هكذا تشكرنى ؟ ليس هذا جميلاً منك ياجانيمار .

وفيما هو يتحدث قام بنفس الحركة التى سبق أن قام بها جانيمار واقترب من الباب ، وأدرك المفتش أن العدو سيفلت منه ، وفى كل حرص ، وأراد أن يقطع عليه الطريق ولكنه تلقى ضربة عنيفة فى صدره من رأس لوبين ألقته أرضاً وجعلته يتدحرج حتى الجدار .

؟ ؟ ؟

أتى لوبين بثلاث حركات أدار الاكرة بعدها وفتح الباب ، واختفى وهو يضحك فى صوت مرتفع .

وعندما خرج جانيمار بعد عشرين دقيقة ، أسرع إليه أحد رجاله وقال :

ـ خرج عامل دهان من البيت فى نفس الوقت الذى عاد فيه زملاؤه بعد تناول الغداء. وقد سلمنى هذه الرسالة وهو يقول : أعط هذه لرئيسك ، فسألته أى رئيس ولكنه كان قد ابتعد ، وأظن أنها لك أنت .

ـ أعطنى إياها .

فض جانيمار الرسالة . كانت مكتوبة بالقلم الرصاص على عجل ، وهذا نصها :

" اكتب هذا أيها الصديق العزيز لكى تتخلى فى المستقبل عن سذاجتك ، فعندما يأتيك شخص ويقول لك أن رصاصاتك مبتلة فلا تصدقه حتى ولو كان هذا الشخص أرسين لوبين .. أطلق أولاً وإذا انتقل ذلك الشخص إلى الدنيا الآخرة فستتحقق عندئذ شيئين : أولهما أن رصاصاتك ليست مبتلة .. وثانيهما أن خادمتك كاترين العجوز من أشرف النساء .

وإلى أن أتشرف بمعرفتها لك منى أصدق التحيات والأمنيات .

أرسين لوبين

